غزوة بدر العظمى

وتسمى بدر القتال ، ويسمى يومها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ، الذى أعز الله فيه الاسلام وأهله ، ودفع الشرك وخرب محله ، وهذا مع قلة عدد المسلمين وكثرة عدوهم ، على ماكان عليه العدو من من سوابغ الحديد والعدة الكاملة ، والخيل المسومة ، والخيلاء الزائدة ، أعز الله به رسوله ، وأظهر وحيه وتنزيله ، وبيّض وجه النبى وقبيله ، وأخزى الشيطان وجيله ، ولذلك امتن جل شأنه على عباده المسلمين فى قوله (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) .

وكان خروجهم إليها لثنتى عشرة خلت من رمضان ، على رأس تسعة عشر شهرا من الهجرة النبوية ، وخرجت معه الانصار ، ولم تكن قبل ذلك خرجت معه ، وكانوا جميعا ثلثمائة وخمسة ، أو حوالى ذلك ، والمهاجرون منهم أربعة وستون ، وسائرهم من الانصار ، وكان معهم ثلثة أفراس : بَعْزَجة ، فرس المقداد ، واليعسوب ، فرس الزبير وفرس لمَرْثد الغنوى ، لم يكن لهم يومئذ خيل غيرها ، وكان معهم سبعون بعيرا فاعتقبوها .

وكان المشركون ألفا أو تسعمائة وخمسين ، معهم مائة فرس وسبعمائة بعير ، وكان القتال يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان

(١) وكانت من غير قصد من المسلمين إليها ولا ميعاد ، كما قال تعالى (ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد) وإنما قصد ﷺ التعرض لعير قريش التي خرج اليها وهي ذاهبة الى الشام حتى بلغ العشيرة ، فوجدها

سبقته بأيام ، فلم يزل مترقبا لرجوعها .

وذلك أن أبا سفيان كان بالشام فى ثلاثين أو أربعين رجلا ، منهم مخرمة بن نوفل ، وعمرو بن العاص ، وكانت عيرهم ألف بعير ، فأقبلوا فى قافلة عظيمة فيها خمسون ألف دينار ، وكان لم يبق قرشى ولا قرشية له مثقال إلا بعث به فى العير — حتى اذا كانوا قريبا من بدر ، بلغ النبى ﷺ ذلك ، فندب أصحابه اليه ، وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدو ، وقال هذه عير لقريش فيها أموال ، فاخرجوا اليها ، لعل الله أن يُنَفِّلَكُمُوها فانتدب الناسُ ، فخف بعضهم وثقل بعضهم ، لأنهم ظنوا أنهم لا يلقون حـــربا .

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الاخبار ويسأل من لقى من الركبان ، تخوفا على أموال الناس ، حتى سمع خبرا من بعض الركبان ان محمـدا قد أستنفر أصحابه لك ولعيرك ، فحذر عند ذلك ، فاستأجر ضَمضَم بن عمرو الغِفَارى أن يأتى قريشا بمـكة فيستنفرهم ، ويخبرهم أن محمدا قد عرض لعيرهم فى أصحابه ، فخرج ضمضم سريعا الى مكة .

(٢) رؤيا عاتكة — ورأت عاتكة بنت عبد المطلب رؤيا أفزعتها فقصتها على أخيها العباس ، وهى أن راكبا أقبل على بعيره وصرخ بأعلى صوته ينذر قريشا بمصرعها فى ثلاثة أيام ، فامرها أن تكتمها ، ثم خرج فلقى الوليد بن عتبة فأخبره ، وهذا أخبر أباه . ففشا الخبر بمكة ، فلما رأى أبو جهل العباس قال :... متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ ..... يابنى عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ! فلم

بعض الثلاث من رؤيا عاتكة حتى سمع أبو جهل صوت ضمضم وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره قد جدعه وحول رحله وشق قميصه وهو يقول : يامعشر قريش اللطيمة ، اللطيمة ! أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث ، قال العباس : فشغلنى عنه وشغله عنى ماجاء من الأمر ، فتجهز الناس سراعا ، وقالوا أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى ؟ كلا والله ليعلمن غير ذلك ، ونهضوا فى قريب من ألف مقنع ، وكانوا بين رجلين : إما خارج ، وإما باعث مكانه رجلا . وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد إلا أبو لهب ، بعث مكانه العاصى ابن هشام أخا أبا جهل ، كان له عليه أربعة آلاف درهم أفلس له فيها ، فاستأجره بها .

وأجمع أمية بن خلف القعود فجاءه عقبة بن أبى معيط بمجمرة حتى وضعها بين يديه وقال له استجمر ، فانما أنت من النساء ، فلم يلبث أن تجهز وخرج مع الناس .

(٣) أول تخاذلهم : فلما فرغوا من جهازهم وأجمعوا السير ، ذكروا ما كان بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة من الحرب ، وكانت فى ابن لرجل من عامر بن لؤى خرج يبتغى ضالة له فقتلته بنو بكر ، بايعاز من سيدهم ، فثار لهذا الغلام أخوه وقتل به سيدهم هذا بسيفه ، ثم أتى به الكعبة ليلا فعلقه بأستارها ، فلما أصبحت قريش رأوا السيف فعرفوه ، ولهذا لما أجمعت المسير ذكرت مابينها وبين بنى بكر ، فكاد ذلك أن يثبطهم ، فتبدى لهم من زعموا أنه سراقة بن مالك ، وكان من أشراف بنى كنانة

فقال : انى جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشىء تكرهونه ، فخرجوا سريعا .

(٤) وخرج رسول الله ﷺ حتى بلغ الروحاء، قرية على نحو أربعين ميلا من المدينة ، ثم سار حتى إذا كان قريبا من الصفراء بعث بَسْبَس ابن عمرو الجهنى وعدى بن أبى الزَّغباء ، الى بدر يتجسسان له الخبر عن أبى سفيان . فمضيا حتى نزلا بدرا فأناخا إلى تل قريب من الماء ، وأخذا يستسقيان ، فسمعا جاريتين تقول احداهما لصاحبتها : ان أتانى العير غدا أو بعد غد أعمل لهم ، وأقضيك الذى لك ، فانطلقا حتى أتيا رسول الله فأخبراه بما سمعا ، وكان النبى ﷺ قد ترك الصفراء يسارا ونزل فى ذِفران ، وكان قد أتاه الخبر من السماء عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم ، فاستشار الناس فى طلب العير وحرب النفير ، وقال إن الله وعدكم إحدى الطائفتين ، إما العير وإما قريش ، وكانت العير أحب اليهم ، كما قال تعالى (وتودون أن غيْر ذات الشوكة تكون لكم) ، فقام أبو بكر فقال وأحسن ، ثم قام عمر فقال يارسول الله ، انها قريش وعزّها ، والله ماذلت منذ عزّت ، ولا آمنت منذ كفرت ، والله لنقاتلنك ، فتأهب لذلك أهبته ، وأعِد لذلك عدته ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يارسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك ، والله لانقول كما قال قوم موسى (اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) ولكن نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى بَرْك الغماد (موضع على خمس ليال من مكة مما يلى البحر ، والاولى تفسيره هنا بأقصى معمور الارض كما هو أحد معانيه

فى القاموس: لأنه أبلغ فى امتثال أمره واتباعه) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له ﷺ خيرا ودعا له بخير ، واشرق وجهه ، وسرّه قوله . والأصل فى هـذه الشورى أن رسول الله لما خبرهم بقريش ومسيرها، وقال استعدوا للقتال ، قالوا : والله مالنا طاقة بقتال القوم ، فأعاد فقال المقداد ماقال ، فتمنى الانصار ان لو كانوا قالوا ماقال المقداد، فأنزل الله تعالى (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون ...) الآية

ثم قال عليه السلام ثالث مرة : أشيروا علىّ أيها الناس ، وانما يريد الانصار ، لأنهم كانوا عدد الناس ، وأنهم حين بايعوا بالعقبة قالوا يارسول الله انا برآء من ذمامك حتى تصير إلى دارنا ، فاذا وصلت الينا ، فأنت فى ذمامنا ، نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا ، فكان رسول الله ﷺ ، يتخوف ألاّ تكون الانصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أنْ يسير بهم إلى عدو فى غير بلادهم ، فلما قال ذلك ، قال له سعد بن مُعاذ ـ الذى هو فى الانصار بمنزلة الصديق فى المهاجرين : — والله لكأنك تريدنا يارسول الله ؟ قال أجل ، قال فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ماجئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودا ومواثيق ، على السمع والطاعة، فامض بنا يارسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر وخضته ، لخضناه معك ، مايتخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدوًّا غدًا ، انا لصُبُرٌ عند الحرب ، صُدُقٌ عند اللقاء ، لعل الله أن يُرِيَك منا ماتقر به عينك ، فسر بنا

على بركة الله تعالى .

فسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ، ونشطه ذلك ، ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وأبشروا ، فان الله قد وعدنى إحدى الطائفيين ، وبعد فهل قول الصادق الامين لكأنى أنظر الآن إلى مصارع القوم ، فى هذا المقام يبعث فيهم الاقدام والشجاعة ؟ أم هل يثبطهم ويفل من عزائمهم ؟

(٥) ثم ارتحل ﷺ من ذفران ، وسلك على ثنايا يقال لها الأصافر ، ثم نزل الأبة ، وترك الحنان بيمين ، حتى نزل قريبا من بدر ، واذا قريش قد نزلت بالعدوة القصوى من الوادى . فخرج رسول الله مع رجل من أصحابه حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : . . . فانه بلغنى أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فان كان صدقنى الذى أخبرنى ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذى به رسول الله) ، وبلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فان كان الذى حدثني صدقنى ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذى به قريش) ، فرجع النبى ، فلما أمسى ، بعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحابه إلى بدر يلتمسون له الخبر عليه ، فاصابوا رواية لقريش فيها غلامان ، فاتوا بهما رسول الله وهو يصلى ، فسألوهما ، فقالا نحن سقاة لقريش ، بعثونا نسقيهم من الماء ، فكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لابى سفيان فضربوهما ، فلما أذلقوهما قالا : نحن لابى سفيان فتركوهما ، فلما سلم رسول الله قال : إذا صدقاكم ضربتموهما ، فاذا كذباكم تركتموهما ؟ صدقا والله ، إنهما

لقريش ، أخبرانى أين قريش ؟ قالا : هم وراء هذا الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى ، فقال لهما : كم القوم ؟ قالا لا ندرى ، قال كم ينحرون كل يوم ؟ قالا يوما تسعا ويوما عشرا ، فقال رسول الله ﷺ : القوم مابين التسعمائة والألف ، ثم قال لهما : فمن فيهم من أشراف قريش ؟ قالا : عتبة وشيبة وأبو البخترى وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والنضر بن الحرث وأبوجهل وأمية بن خلف و نُبَيْه و مُنَبّه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو ، فأقبل رسول الله على الناس فقال : هذه مكة قدرمت اليكم أفلاذ كبدها .

(٦) أما أبو سفيان فقد تقدم العير حَذِرا ، حتى ورد الماء ، فقال لمجدى ابن عمرو : هل أحسست أحدا ؟ قال : مارأيت أحدا انكره ، إلا أنى رأيت راكبين أناخا إلى هذا التل ، ثم استقيا فى شَنٍ لهما ثم انطلقا ، (يريد بَسْبَسا وصاحبه) ، فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعار بعيريهما فَفَتَّه فاذا فيه النوى ، فقال هذه والله علائف يثرب ، فرجع إلى أصحابه سريعا فصرف وجه عيره عن الطريق ، فساحل بها وترك بدرا يسارا ، ثم انطلق مسرعا ؛

ونعود إلى قريش فنقول : قد اقبلوا فنزلوا الجحفة ، فرأى جهم بن أبى الصلت بن مخرمة بن عبد المطلب رؤيا ، سمع فيها قائلا يقول قتل عتبة وشيبة فلان وفلان ، فعدد رجالا ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش ، فبلغت أباجهل فقال : وهذا أيضا بني آخر من بنى عبد المطلب ، سيعلم غدا من المقتول ان نحن التقينا .

ولما رأى أبوسفيان أنه قد أحرز العير ، أرسل الى قريش : إنكم

انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجاها الله فارجعوا ، فقال أبوجهل : والله لانرجع حتى نرد بدرا ـ وكانت بدر موسما من مواسم العرب تجتمع به ، لهم بها سوق كل عام ـ فنقيم عليه ثلاثا ، وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمور وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب بمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا ، فامضوا ،

(٧) التخاذل الثانى : فقال الاخنس بن شريق الثقفى ـ وكان حليف بنى زهرة ـ وهم بالجحفة : يابنى زهرة ، قد نجى الله لكم عيركم ، وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل ، وانما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بى جبنها (قولوا انى جبان) وارجعوا ، فانه لاحاجة بكم فى أن تخرجوا فى ضيعة لما يقول هذا ، (يعنى أباجهل) فرجعوا ، فلم يشهدها زهرى ، وكان فيهم مطاعا ، ولم يكن بقى من قريش بطن الانفر منهم ناس ، إلا بنى عدى بن كعب ، فرجعت بنو زهرة مع الاخنس ، فلم يشهد بدرا من هاتين القبيلتين أحد .

وقد كان بين طالب بن أبى طالب ـ وكان فى القوم ـ وبين بعض قريش محاورة ، فقالوا والله لقد عرفنا يابنى هاشم وان خرجتم معنا ، أن هواكم لمع محمد ، فرجع طالب إلى مكة فيمن رجع .

ومضت قريش حتى نزلت بالعدوة القصوى من الوادى خلف العقنقل ، وبطن وادى يَلْيَل بين بدر وبين العقنقل ،

(٨) وبعث الله السماء وكان الوادى دَهْسا ، فأصاب رسول الله وأصحابه منها مالبد لهم الأرض ، ولم يمنعهم المسير ، وأصاب قريشا منها ، مالم يقدروا أن يرتحلوا معه ، فخرج رسول الله يبادرهم إلى الماء حتى حاذى

ماء من مياه بدر فنزل به ، فقال الحباب بن المنذر : يارسول الله ، أرأيت هذا المنزل ؟ أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة ، قال فان هذا ليس لك بمنزل ؛ فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من مياه القوم ، فقام النبى من فوره فنزل عليه ، ثم أمر بالقُلُب (الآبار) فغُورت ، وبنى حوضا على القليب الذى نزل عليه فملىء ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية ، وقام سعد بن معاذ فقال يارسول الله ، ألا نبنى لك عريشا من جريد فتكون فيه ، ونُعدّ عندك ركائبك ثم نلقى عدونا ، فان نحن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا ، كان ذلك ماأحببنا ، وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام بانى الله مانحن بأشد حبا لك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ، ماتخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك ؛ فأثنى عليه النبى خيرا ودعا له بخير ، وبنوا له عريشا فكان فيه

(٩) وقد أصبحت قريش فأقبلت تُصوّب من العقنقل ، فلما رآها قال : اللهم هذى قريش قد أقبلت بخُيَلائها وفخرها ، تُحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى ، اللهم فأَحِنْهُم الغداة ، وأقبل نفر من قريش حتى وردوا الحوض ، فقال دعوهم ، فما شرب منهم رجل الا قتل يومئذ ، الا حكيم بن حزام فانه لم يقتل ، نجا على فرسه وأسلم بعد ذلك ، فكان اذا اجتهد فى يمينه قال : والذى نجانى من يوم بدر .

قالوا : ولما اطمأن القوم ، بعثوا عمير بن وهب الجمحى ليحزر أصحاب النبى ، فاستجال بفرسه حول العسكر ، ثم رجع اليهم فقال :

ثلثمائة رجل ، يزيدون قليلا أو ينقصونه ، ولكن أمهلونى حتى أنظر ، أللقوم كمين أومدد ؟ فضرب فى الوادى حتى أمعن فلم ير شيئا ، فرجع فقال : لم أر شيئا ، ولكن قد رأيت يامعشر قريش الولايا (البراذع) تحمل المنايا ، نواضح (أباعر) يثرب ، تحمل الموت الناقع ، قوم ليس لهم مَنَعَة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يُقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم ، فاذا أصابوا منكم أعدادهم ، فما خَيْر العيش بعد ذلك ، فروا رأيكم .

(١٠) التخاذل الثالث — فلما سمع حكيم بن حزام ذلك ، مشى فى الناس فأتى عتبة بن ربيعة وقال ياأبا الوليد ، أنك كبير قريش الليلة ، وسيدها والمطاع فيها ، هل لك الى أمر لاتزال تذكر منه بخير الى آخر الدهر ؟ قال وماذاك ياحكيم ؟ قال : ترجع بالناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمى ، قال قد فعلت ، أنت على ذلك شهيد ، إنما هو حليفى فعلى عَقْله (دِيَتُه) وما أُصيبَ من ماله ، فأت ابن الحنظلية (يريد أباجهل) فانى لا أخشى أن يسحر الناسَ غيره . اذهب اليه فقل له : هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك ؟ ففعل ، وفى أثناء ذلك قام عتبة خطيبا فقال : يامعشر قريش ، والله ماتصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا ، والله لئن أصبتموه لايزال الرجل منكم ينظر فى وجه رجل يكره النظر اليه ، رجلٍ قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ، فان أصابوه فذلك الذى أردتم ، وإن كان غير ذلك ، ألفاكم ولم تعدموا منه ماتريدون .

قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قـــد نثل

(أخرج) درعاله من جرابها وهو يهيئها ، فقلت له يا أبا الحكم ، إن عتبة أرسلنى اليك بكذا وكذا (الذى قال له) ، قال : أما وجد رسولا غيرك ؟ قلت لا ، ولم أكن لاكون رسولا لغيره ، قال : أنتفخ والله سَحْرُه حين رأى محمدا وأصحابه (يريد ملأت رئتُهُ جوفه رعبا) كلا والله لامرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وأصحابه ، وما بعتبة ماقال ، ولكنه قد رأى أن محمدا وأصحابه أكلة جزور (يريد أنهم قلة تكفيهم جزور واحدة لطعامهم) وفيهم ابنه (أبو حذيفة بن عتبة) قد تخوفكم عليه ، ثم بعث الى عامر بن الحضرمى فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرك بعينك ، فقم فانشد خَفْرَتك (ذمّتك وعهدك) ومقتل أخيك ، فقام عامر فاكتشف ثم صرخ واعمراه واعمراه ، فحميت الحرب وحَقِب أمر الناس (فسد) واستوسقوا على ماهم عليه من الشر ، وأفسد عليهم الرأى الذى دعاهم اليه عتبة وتعبّوا للقتال ، وقال عتبة حينما سمع قول أبى جهل (انتفخ والله سحره) : سيعلم مصفّر الاست من انتفخ سحره ، أنا أم هو ؛ ثم خرج الاسود بن عبد الاسد المخزومى ، وكان رجلا شرسا سيّىء الخلق ، فقال : أعاهد الله لأشربّن من حوضهم ، أو لأهدمنه أو لأموتن دونه ، فلما خرج خرج له حمزة فلما التقيا ضربه حمزة فابان قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخُب رجله دما نحو أصحابه ، ثم حبا الى الحوض فاقتحم فيه يريد أن يبر يمينه ، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض

(١١) المبارزة — ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة ، بين أخيه شيبة

وبين ابنه الوليد ، حتى اذا نصل من الصف ، دعا الى المبارزة ، فخرج اليه فتية من الانصار: عوف ومعوذ ابنا الحرث وأمهما عفراء ، وعبد الله ابن رَوَاحة ، النقيب البدرى الامير المستشهد بمؤته ، فقالوا من أنتم ؟ قالوا رهط من الانصار ، قال عتبة : أكفاء كرام ، انما نريد قومنا ، ثم نادى مناديهم : يامحمد أخرج الينا أكفاءنا من قومنا ، فقال ﷺ ، قم ياعبيدة بن الحرث قم ياحمزة قم ياعلى ، فلما قاموا ودنوا منهم ، قالوا من أنتم ؟ فتَسَمَّوْا لهم ، قالوا نعم ، أكفاء كرام ، فبارز عبيدةُ عتبة ، وبارز حمزةُ شيبة وبارز علىٌّ الوليد ، فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأما على فلم يمهل الوليد أن قتله ، وأما عبيدة وعتبة ، فاختلفا ضربتين كلاهما أثبت صاحبه ، فكر حمزة وعلى على عتبة بأسيافهما فذَفّفا عليه فقتلاه ، واحتملا صاحبهما الى النبي ومخ ساقه يسيل ، وبعد قليل قضى نحبه .

(١٢) الزحف — ولما قُتل المبارزون خرج ﷺ من العريش الى الصفوف يسويها ثم عاد اليه ، وتزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وكان فى العريش أبو بكر ورسول الله يناشد ربه ماوعده من النصر ، ويقول فيما يقول: اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم (يعنى المسلمين) لاتعبد بعد اليوم ، فيقول أبو بكر : يانبى الله ، خل بعض مناشدتك ربك ، فان الله منجز لك ماوعدك ، ثم خفق النبي خفقة وانتبه ، فقال ياأبا بكر اتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده ، وعلى ثناياه النقع (الغبار) ، ثم خرج من باب العريش وهو يتلو (سيهزم الجمع ويولون الدبر) ورمى مهجم مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل ، فكان أول قتيل من المسلمين ، ثم

رمى حارثة بن سراقة وهو يشرب من الحوض فقتل ، ثم خرج رسول الله الى الناس فحرضهم ، ونفل كل امرىء ما أصاب ، ثم أخذ حفنة من الحصباء واستقبل بها قريشا ثم قال : شاهت الوجوه ، ثم قال لاصحابه شدوا فكانت الهزيمة ، فقتل الله من قتل من صناديد قريش وأسر من أسر من أسر ،

(١٣) الوصية ـ فلما وضع المسلمون أيديهم يأسرون تغير وجه سعد بن معاذ كراهية في الاسر وكان أعجب اليه القتل حتى يستأصل الرجال ، وقال رسول الله لاصحابه يومئذ : اني قد عرفت ان رجالا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أبا البختري فلا يقتله ، ومن لقي العباس فلا يقتله ، فانما خرج مستكرها ، فقال أبو حذيفة بن عتبة : أيُقتل آباؤنا وأبناؤنا وإخواننا وعشيرتنا ، ونترك العباس ، والله لئن لقيته لألجمنه السيف ، فبلغت رسول الله ، فقال لعمر يا أبا حفص أما تسمع الى قول أبي حذيفة؟ يقول أضرب وجه عم رسول الله بالسيف ، فأستأذن عمر في قتله وقال لقد نافق ، فكان أبو حذيفه يقول : ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلتها يومئذ ، ولا أزال منها خائفا إلا أن تكفرها عني الشهادة ، فاستشهد يوم اليمامة .

وانما نهى النبي عن قتل أبي البختري ، لأنه كان أكف القوم عن رسول الله وهو بمكة ، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه بمكة شيء يكرهه ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة ، لكنه لقي المجذّر بن زياد فقال له : ان رسول الله نهانا عن قتلك ـ ومع أبي البختري زميل له خرج معه من

مكة ـ فقال وزميلى ؟ قال المجذر لا والله ، مانحن بتاركى زميلك ، ماأمرنا رسول الله إلا بك وحدك ، قال : والله إذاً لأموتن أنا وهو جميعا ، لاتتحدث عني نساء قريش بين أهل مكة أنى تركت زميلى حرصا على الحياة ،

لن يُسلم ابن حرة أكيله حتى يموت أو يرى سبيله

ونازل المجذر فقتله المجذر ، وجاء فقال للنبى ﷺ : والذى بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به فابى إلا أن يقاتلنى ، فقاتلته فقتلته ، ورأى بلال أمية بن خلف الجمحى وابنه عليّا ، بيد عبد الرحمن بن عوف ، (وكان صديق أمية فى الجاهلية فاستبقاه) فقال : رأس الكفر أمية بن خلف ، لانجوت ان نجوا ، فاحاط الناس بهما فهبروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما ،

(١٤) أبو جهل ـ ولما فرغ رسول الله من غزوة بدر ، أمر بأبى جهل أن يلتمس فى القتلى ، وقال اللهم لايعجزنك ، وكان أول من لقى أباجهل معاذ بن عمرو بن الجموح ، فامكنه الله منه فضربه ضربة أطنّتْ قدمه بنصف ساقه ؛ فضربه عكرمة بن أبى جهل على عاتقه ضربة طُرحت منها يده فتعلقت بجلدة من جنبه ، قال معاذ : فقاتلت عامة يومى وانى لاسحبها خلفى ، فلما آذتنى وضعت عليها قدمى ، ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها . ثم مر بأبى جهل وهو عقير ، معوّذ بن عفراء فضربه حتى أثبته وتركه وبه رمق ، فر عبد الله بن مسعود حينما أمر رسول الله أن يلتمس فى القتلى ، قال عبد الله : فوجدته بآخر رمق فعرفته ، فوضعت رجلى على عنقه ، ثم قلت هل أخزاك الله ياعدو الله ، فقال : وبماذا أخزانى ؟ أعمدُ من رجل قتلتموه ؟ (يريد أأعظم من رجل قتله قومه) .

لمن الدَّبرة اليوم ؟ قلت لله ولرسوله ﷺ (والدَبرَة وتسكّن : النصر والظفر والدولة ، إذا قيل لمنْ ، وبالعكس إذا قيل على من)

ويقال ان أبا جهل قال لابن مسعود : لقد ارتقيت يا رُوَيعى الغنم مرتقى صعبا ، فاستل ابن مسعود سيف ابى جهل فضربه به واحتز رأسه وجاء إلى رسول الله ﷺ وقال : هذا رأس عدو الله أبي جهل ، فقال النبي : آلله الذى لااله غيره ؟ وكانت يمين رسول الله — فقال نعم ، أى والله الذى لااله غيره ، ثم ألقى الرأس بين يديه فحمد الله

والتأمل ترى أن أبا جهل قد اشترك فى قتله ثلاثة ضربه معاذ فأطنّ قدمه ، ومعوذ فأثبته ، وابن مسعود فاحتز رأسه .

عود — وفى رمى الرسول ﷺ القوم بالحصباء أو بالحصى ، روى فلم يبق مشرك إلا دخل فى عينيه ومنخريه ، وفى هذا رائحة اشارة إلى أن ريحا هبت من ناحية المسلمين على القوم فأثارت الحصباء فى وجوههم فعَمُوا ورعبوا ورهبوا فانهزموا ، وقد يصح والله أعلم أن يكون هذا تأويل قوله تعالى (ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى) فيكون الرمى من الرسول والايصال بالريح من الله وهو خير الناصرين

(١٥) أمر القتلى — ثم ان رسول الله ﷺ جعل يمشى بين القتلى هو وأبو بكر ، والنبي يقول (نُفلّق هامًا) فيقول الصديق

..... من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

ثم أمر أن يطرحوا فى القليب فطرحوا ، فوقف عليهم فقال : يأهل القليب ، هل وجدتم ماوعد ربكم حقا ؟ فانى وجدت ماوعدنى ربى حقا ، فقال له أصحابه : يارسول الله ، أتكلم قوما موتى ؟ فقال : لقد علموا

أن ماوعدهم ربهم حق ،

وكان فيهم أربعة وعشرون رجلا من صناديد قريش . فذفوا فى طَوِىّ من أطواء بدر خبيث مخبث . تركهم رسول الله ﷺ ثلاثة أيام حتى جَيّفوا ثم أتاهم فقام عليهم وناداهم باسمائهم وقال ماقدمناه

ولما أمر رسول الله أن يلقوا فى القليب ، أُخذ عتبة بن ربيعة فسحب ، فنظر رسول الله فى وجه حذيفة بن عتبة فاذا هو كئيب ، قد تغير لونه . فقال : ياأبا حذيفة ، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شىء؟ فقال لا والله يارسول الله ، ماشككت فى أبى ولا فى مصرعه ، ولكننى كنت أعرف من أبى رأيا وحلما وفضلا ، فكنت أرجو أن يهديه ذلك للاسلام . فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت مامات عليه من الكفر ، بعد الذى كنت أرجو له ، أحزنني ذلك ، فدعا له رسول الله بخير ، وقال له خيرا — هذا وكان جملة من قتل يوم بدر من المشركين سبعين فقط مع حضور ألف من الملائكة ! ، وكان قدر الله السابق فيمن بقى منهم أن سيُسلم منهم بشر كثير ، ولو شاء الله لسلط عليهم مَلَكا واحداً فأهلكهم عن آخرهم ، ولكنهم قتلوا من لاخير فيه (ولو شاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليبلو بعضكم ببعض) (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويخزهم وينصركم عليهم ، ويشف صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم ، ويتوب الله على من يشاء) فكان قتل أبى جهل على يدى شباب من الأنصار ، ثم وقوف ابن مسعود وصعوده على صدره ! واحتزازه رأسه ، وحمله والقائه بين يدى النبى وغير ذلك مما شفى صدور المؤمنين ، كل ذلك كان أبلغ فى النفوس من أن تأتيه صاعقة ، أو يسقط عليه

سقف منزله ، أو يموت حتف أنفه

وقد كان فى قتلى بدر نفر ممن كان مسلما ، خرجوا معهم تقية منهم ، كالحرث بن زمعة ، وعلى بن أبى أمية بن خلف ، وأبو قيس ابن الوليد بن المغيرة ، وغيرهم ، وقد نزل فيهم قول الله تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم .... الآية)

(١٦) أمر الاسرى — وكان جملة أسرى بدر سبعين أسيرا ، منهم من آل الرسول عمه العباس ، وابن عميه عقيل بن أبى طالب ، ونوفل ابن الحرث بن عبد المطلب ، فاستشار النبى أصحابه فى الاسرى عامة ، فقال عمر يارسول الله اضرب أعناقهم ، فاعرض عنه ﷺ لما طبع عليه من الرأفة فى حال ايذائهم له ، فكيف فى حال قدرته عليهم ، ثم عاد فاستشار فقال أبو بكر : نرى أن تعفو عنهم وتقبل منهم الفداء ، ففعل النبى ذلك ، وكانت حجة أبى بكر أنهم أهل الرسول وقومه ، ولعل الله أن يتوب عليهم اذا استأنى بهم ، وحجة عمر : أنهم كذبوا الرسول وأخرجوه ، ولذلك روى أن رسول الله قال لأبى بكر : إن مثلك كمثل ابراهيم . قال (فمن اتبعنى فانه منى ، ومن عصانى فانك غفور رحيم) وكمثل عيسى ، إذ قال (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) وان مثلك ياعمر كمثل نوح ، إذ قال (رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا) وكمثل موسى إذ قال (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) ، وقيل للعباس وكان جسيما طويلا جميلا كيف أسرك أبو اليسر السلمى وهو دميم صغير ، ولو شئت لجعلته فى كفك ؟ فقيل

ماهو إلا أن لقيته فظهر فى عينى كالخندمة

ولما وُلى عمر وَثاق الأسرى ، شد وَثاق العباس فسمعه النبى وهو يئن ، فلم يأخذه النوم ، فبلغ الانصار فأطلقوا العباس لاسترضاء الرسول ، وسألوا أن يُترك له الفداء طلبا لتمام رضاه فلم يجبهم ، خشى أن يكون فيه محاباة لكونه عمه ، وسوّى بينه وبين الاسرى عامة ، حتى لايقع فى نفوس أصحابه الذين لهم أقارب أسرى شيء . وقال للعباس : افد نفسك وابنى اخيك (عقيل ، نوفل) وحليفك عتبة بن عمرو ، قال أنى كنت مسلما ، ولكن القوم استكرهونى ، قال : الله اعلم بما تقول ، ان يكن ماتقول حقا ، فالله يجزيك ، ولكن ظاهر امرك انك كنت علينا ، أى ان شريعتنا العمل بالظاهر ، لا بما فى نفس الأمر

وكان رسول الله يفادى الاسرى على قدر أموالهم ، وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لايكتبون ، فمن لم يكن عنده فداء ، دفع اليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم ، فاذا حذقوا فهو فداؤه .

وجعل على العباس مائة أوقية ، وعلى عقيل ثمانين أوقية ، فقال العباس معاتبا : اللقرابة صنعت هذا ؟ فأنزل الله تعالى قوله (يأيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى . الآية) فقال العباس وددت لو كنتَ أخذت منى أضعافها لقوله تعالى (إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أُخِذَ منكم) ففادى نفسه ورجع الى مكة فأقام بها على سقايته ورسول الله عنه راض ، وكان يكتب بأخبار المشركين الى رسول الله ، وكان يحب القدوم عليه — ويقال انه أسلم يوم بدر ، فقد خرج اليها بعشرين أوقية من ذهب ليطعم بها المشركين فأخذت منه فى الحرب ، فكلم النبى أن

يحسب العشرين أوقية من فدائه فأبى ، وقال أمّا شيء خرجت به فلا نتركه لك ، فقال العباس : تتركنى أتكفف قريشا مابقيت ؟ فقال له النبي فأين الذهب الذى دفعته الى أم الفضل وقت خروجك من مكة ؟ فقال العباس : ومايدريك ؟ قال أخبرنى ربى ، فقد أشهد أنك صادق ، فان هذا لم يطلع عليه الا الله ، وانا أشهد أن لا إله الله وأنك عبده ورسوله ، ففدى نفسه وابني أخيه وحليفه ، وكان اسلامه قديما ، ولكنه كان يكتمه ، فأظهره يومئذ ، وقيل لم يظهره إلا يوم فتح مكة .

(١٧) العودة من بدر — ولما فرغ من أمر بدر فى آخر يوم من رمضان وأول يوم من شوال ، أمر بما فى العسكر مما جمع الناس فجمع ، ثم أقبل قافلا الى المدينة ومعه الاسارى من المشركين ، واحتمل النفل وجعل عليه عبد الله بن كعب ، وأمر عند انصرافه من بدر بقتل عقبة بن أبى معيط فقتل صبرا ، فلما خرج من مضيق الصفراء قسم النفل بين المسلمين وكانوا قد اختلفوا فيه ، فقال من جمعه : هو لنا ، وقال الذين كانوا يحرسون النبي مخافة أن يخالف اليه العدو : والله ما أنتم بأحق به منا ، ولقد رأينا أن نقتل العدو إذ ولاّنا الله ومنحنا اكتافهم ، ولقد رأينا ان نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ، ولكن خفنا على رسول الله كرّة العدو ، فقمنا دونه ، فما أنتم بأحق به منا . فنزعه الله من أيديهم ، فجعله الى رسوله . وانزل عليه : (يسألونك عن الانفال الآية) وقوله (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله إن الله غفور رحيم) فقسمه النبي بينهم على السواء .

وأمر عليا بالصفراء فقتل النضر بن الحرث صبرا ، وفى قتله تقول

قُتَيلة أخته أو بنته من قصيدة

هل يسمعَنّ النضر ان ناديته ... أم كيف يسمع ميت لاينطق

أمحمد ياخير ضِنّ كريمة ... فى قومها والفحل فحل معرق

ماكان ضرك لو مننت وربما ... منّ الفتى وهو المغيظ المحنق

أو كنت قابل فدية فلينفقن ... بأعز مايغلو به ماينفق

فالنضر أقرب من أسرت قرابة ... وأحقهم ان كان عتق يعتق

فيقال ان رسول الله بكى حتى اخضلت لحيته ، وقال لو بلغنى هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه ، لا ندما على ماصنع بل معناه لو شفعت عندى بهذا القول لقبلت شفاعتها

ثم مضى حتى دخل المدينة من ثنية الوداع قبل الاسارى بيوم واحد ، وكان قد أرسل بشيرا إلى أهل المدينة ؛ فوصل ضحى وقد نفض الناس أيديهم من تراب رقية ، بنت النبي وزوج سيدنا عثمان ، وكان قد تخلف لتمريضها فلم يحضر بدرا ، فأسهم له رسول الله ﷺ

فلما قدم الاسرى فرقهم بين أصحابه ، وقال : استوصوا بهم خيرا

ولما رأت ام المؤمنين سودة بنت زمعة ، أبا يزيد سهيل بن عمرو فى ناحية الحجرة مجموعة يداه الى عنقه بحبل قالت له : أعطيتم بأيديكم؟ ألامتم كراما ؟ فقال لها رسول الله : ياسودة أعلى الله ورسوله ؟ فقالت يارسول الله والذى بعثك بالحق ، ماملكت نفسى حين رأيت ابا يزيد مجموعةً يداه الى عنقه بحبل ، أن قلت ماقلت

(١٨) اخبار مكة بمصاب قريش — كان اول من قدم مكة

بمصابهم فى بدر ، الحيسمان الخزاعى ، قالوا ماوراءك ؟ قال : قتل عتبة

وفلان وفلان ، فلما جعل يعدد اشراف قريش . قال صفوان بن أمية ، وهو قاعد فى الحجر : والله إن يعقل هذا ! فسلوه عني ، فسألوه مافعل صفوان بن امية ؟ قال : هو ذلك جالس فى الحجر ، وقد والله رأيت اباه واخاه حين قتلا

ولما قدم سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ، أخو المصطفى من رضاع حليمة ، سأله أبو لهب عن خبر قريش فقال : هلم الى فعندك الخبر ، قال والله ماهو إلا ان لَقِينَا القوم فمنحناهم أكتافنا ، يقتلوننا كيف شاءوا ، ويأسروننا كيف شاءوا ، وأيم الله مع ذلك مالمت الناس ، لقينا رجال بيض ، على خيل بُلْق بين السماء والارض لايقوم لها شيء وكان ابو رافع مولى رسول الله (وكان غلاما للعباس فوهبه للنبي فاعتقه النبي لما بشره باسلام العباس) يسمع من سفيان ففرح ، وقال والله تلك الملائكة ، فرفع ابو لهب يده فضرب وجهه ضربة شديدة ، ثم احتمله فضرب به الأرض ، وبرك عليه يضربه ، فقامت أم الفضل — لبابة الكبرى — إلى عمود من عُمُد الحجرة أو الخيمة . فأخذته فضربته به ضربة فلغت فى وجهه شجّة منكرة ، وقالت : اتستضعفه أن غاب عنه سيده ؟ قال ابو رافع : فقام موليا ذليلا ، فو الله ماعاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدَسة (وهى قرحة كانت العرب تتشاءم بها وقيل انها تعدى أشد العدوى) فقتلته ، فلقد تركه ابناه عتبة ومعتب (اسلما يوم الفتح) ليلتين او ثلاثا حتى أنتن فى بيته ، فلما خافوا السُّبة حفروا له ثم دفعوه بعود فى حفرته ، وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه .

(١٩) أمر قريش فى مسألة الفداء — وناحت قريش شهرا على قتلاها ثم قالت : لا تفعلوا ، فيبلغ ذلك محمدا وأصحابه فيشمتوا بكم ، (فكأن هذا من تمام ماعذب الله به أحياءهم فى ذلك الوقت ، فان البكاء مما يفرج فؤاد الحزين) ولا تبعثوا فى فداء أسراكم حتى تيأسوا منهم ، لا يتأرّب عليكم (يتشدد) محمد وأصحابه فى الفداء ، غير أن منهم من خالف سرا وانسل ليلا ، كالمطلب السهمى الذى ذهب فافتدى أباه بأربعة آلاف وانطلق به : فتابعته قريش فى افتداء الأسرى ، فذهب مُكرّز بن حفص فى فداء سهيل بن عمرو ، وكان سهيل أعلمَ من شفته السفلى ، قال عمر لرسول الله دعني أنزع ثنية سهيل ويُدلع لسانه ، فلا يقوم عليك خطيبا فى موطن أبدا ، فقال لعمر : إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه ، فكان منه أنه لما ارتدت العرب بموت النبى ، قام سهيل بمكة فخطب الناس وثبتهم على الدين

عود — فتشدد أسر سهيل وقال :

أَسَرْتُ سهيلا فلا أبتغى   أسيرا به من جميع الأمم

فلما قاولهم مكرز وانتهى إلى رضائهم ، قالوا له هات ، قال ، اجعلوا رجلى مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث اليكم بفدائه ففعلوا .

وكان فى الاسرى عمرو بن أبى سفيان ، أسره على ، فقيل له افد عمرا ، فقال : أيجتمع علىّ دمى ومالى ؟ قتلوا حنظلة وأفدى عمرا ؟ دعوه فى أيديهم . فبينا هو محبوس إذ خرج سعد بن النعمان معتمرا ، ولم يظن أنه يحبس بمكة بحكم ما اعتادوا ، فعدا عليه أبو سفيان فحبسه بابنه عمرو ، فمشى آل سعد من بنى عوف الى رسول الله ﷺ فأخبروه

خبره ، وسألوه أن يعطيهم عمرا فيفكوا به صاحبهم ، فبعثوا به إلى أبي سفيان ، فخلى سبيل سعد

وكان فى الأسرى أبو العاص بن الربيع الأموى زوج زينب بنت رسول الله ، وكان من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة ، وأمه هالة أخت أم المؤمنين خديجة التى رغبت الى رسول الله فى أن يزوج أبا العاص من ابنتها ، وكان لايخالفها ، وكان ذلك قبل الوحى ، فلما بُعث رسول الله مشت قريش الى أبي العاص أن فارق صاحبتك ونحن نزوجك بأى امرأة من قريش ، قال لا والله إذا لاأفارق صاحبتى ، وما أحب أن لى بامرأتى امرأة من قريش

وكان رسول الله يثنى عليه فى صهره ، وكان مغلوبا عليه فى مكة لايحل ولا يحرم ، وكان الاسلام قد فرق بين زينب وبين أبى العاص ، فلما بعث أهل مكة فى فداء أسراهم ، بعثت زينب فى فداء أبى العاص بمال ، وبعثت فيه بقلادة كانت خديجة أدخلتها عليه بها حين بنى عليها ، فلما رآها رسول الله رق لها رقة شديدة وقال : ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذى لها ففعلوا ، قالوا نعم ، فأطلقوه وردوا عليها الذى لها ، فكان العاصى ممن مَنّ عليه النبى بلا فداء ، وكان رسول الله قد أخذ عليه أن يخلى سبيل زينب ففى بذلك

وكان أبو عزة الجمحى فى الأسرى ، وكان محتاجا ذا بنات ، فقال يارسول الله لقد عرفت مالى من مال ، وانى لذو حاجة وذو عيال ، فامنن علىّ ، فمن عليه رسول الله ﷺ ، وأخذ عليه ألاّ يظاهر عليه أحدا .

ثم ان أبا عزة نقض ، ولعب المشركون بعقله ، فرجع اليهم ، فلما

كان يوم أحد أسر ، فسأل النبي أن يمن عليه أيضا ، فقال النبي : لا أدعك تمسح عارضيك وتقول : خدعت محمدا مرتين ، ثم أمر به فضربت عنقه ، وفيه قال رسول الله : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين

وجلس عمير بن وهب مع صفوان بن أمية في الحجر ، بعد مصاب أهل بدر بيسير ، وكان عمير شيطانا من شياطين قريش ، وكان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ، ويلقون منه عناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب في أسارى بدر ، فقال صفوان والله ما في العيش بعدهم خير : فقال عمير صدقت ، والله لولا دَيْني وعيالي لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فقال صفوان علىّ كل ذلك . قال عمير فاكتم علىّ شأني وشأنك ، ثم انطلق عمير الى المدينة من غير علم صفوان ، فرآه عمر فأخبر به رسول الله ، فقال أدخله على ، فاقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه فلبّبه بها ، فلما دخل على النبي قال أرسله يا عمر ، ادن يا عمير ، ما جاء بك ؟ قال جئت لهذا الأسير في أيديكم فأحسنوا اليه ، قال فما بال السيف في عنقك ؟ قال قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت عنا شيئا ؟ قال اصدقني ما الذي جئت له ؟ قال ما جئت الا لذلك ، قال بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر ، ثم قص عليه ما دار بينهما ، فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، فقال رسول الله : فقهوا أخاكم وعلموه القرآن وأطلقوا له أسيره ، ففعلوا .

فقال : يا رسول الله ، اني كنت جاهدا على اطفاء نور الله ، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة ، فأدعوهم إلى الله ورسوله والى الاسلام ، فلعل الله يهديهم ، والاّ آذيتهم في دينهم ، فأذن له فلحق بمكة وأسلم على يديه ناس كثير ، أما صفوان فحلف لا يكلمه أبدا ولا ينفعه بنفع

هذا وقد أنزل الله فى بدر سورة الانفال بتمامها ، وقد استشهد فيها من المسلمين أربعة عشر رجلا ، ستة من المهاجرين ، وثمانية من الانصار ، ستة من الخزرج واثنان من الاوس ؛ ومن الذين قتلوا من الخزرج خاصة : عمير بن الحمام بن الجموح ؛ لما خرج رسول الله على الناس يحرضهم فقال : والذى نفسى بيده لايقاتلهم اليوم رجل فيُقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر ، الا أدخله الله الجنة ، فقال عمير وفى يده تمرات يأكلهن : بخ بخ ، أفما بينى وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلنى هؤلاء ؟ ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل وهو يقول

ركضا إلى الله بغير زاد الا التقى وعمل المعاد

ويروى أنه قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى ، انها لحياة طويلة ؛ ثم رمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل

وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون

وكان من نتائجها(١) ان طمع المسلمون مهما قل عددهم فى المشركين ؛ (٢) أخذ المشركون يعدون العدة ويستنفرون حلفاءهم سنة كاملة ليغسلوا هذا العار الذى لحقهم حتى وافوا المسلمين بأحد . (٣) تنبه قبائل العرب فى أحيائهم المختلفة واستعدوا لئلا يهاجمهم رسول الله . (٤) قام اليهود بحركاتهم العدوانية حسدا وبغيا ونقضا للعهود والمواثيق .

وبعد فما بال المسلمين على قلتهم قد انتصروا فى بدر على المشركين وهم أكثر منهم عَددا واقوى عُددا ؟ وهل هنالك أسباب تلتمس مع الاقرار بما كان من معونة الله بالملائكة ، وتثبيته قلوب المؤمنين اذ أراهم

الكفار قليلا عند الزحف ، والقائه الرعب فى قلوب المشركين إذ أراهم المسلمين كثيرا عند ماحمى الوطيس ؟

والجواب ان هنالك شيئا من الاسباب التى تعتبر ضميمة إلى ماكان من الله ، وأهمها

(١) تخاذل قريش جملة مرات وافتراق كلمتهم فى حين تضافر المسلمين واتحاد كلمتهم ، واعتقادهم ان الله ينصرهم ، لانهم خرجوا لينصروا الله ، مما يعبر عنه باستكمال القوة المعنوية

(٢) الشورى باستمرار فى أثناء الطريق ، وبخاصة حينما علم رسول الله أن قريشا اقبلت ، وأن المسألة ليست مسألة أبى سفيان والعير ، بل مسألة هجوم قريش ، حتى كان المسلمون على بينة من الأمر ، وكذلك حينما نزل النبي عند أدنى ماء من بدر ، لا أدنى ماء من القوم ، والشورى فى كل أمر هام لها أثرها ونتائجها .

(٣) أن المكان الذى عسكر فيه رسول الله وأصحابه كان جيدا جدا وفيه الماء ، دون المكان الذي نزلته قريش .

ولذلك اجتمعت على قريش فى خرجتها هذه عوامل كلها قوية وأسباب كلها متينة ، تؤدى الى هزيمتها ؛ فمن تخوف من بني بكر الى كتابة من أبى سفيان ليثنيهم وقد نجت العير ، الى انصراف بنى زهرة وغيرهم الى مكة ، الى قيام حكيم بن حزام وعتبة بن ربيعة — وهما من هما — فى تخذيل النّاس ، إلى غير ذلك من بُعد الشقة ورداءة المكان والفزع .

وقد أكثر شعراء الفريقين فى غزوة بدر رجالا ونساء ، ومن ذلك قول حسان .

لقد علمت قريش يوم بدر غداة القتل والأسر الشديد
بأنا حين تشتجر العوالى حماة الحرب يوم أبى الوليد

وقول أمية بن أبي الصلت لعنه الله

ألا بكيت على الكرا م بني الكرام أولى المادح
كبكا الحمام على فرو ع الايك فى الغصن الجوانح

وهى مطولة نهى رسول الله ﷺ عن روايتها .

وقول هند بنت عتبة وقد غنّى به :

من حسّ لى الاخوين كا لغصنين أو من راهما
قرمان لا يتظالما ن ولا يرام حماهما
ويلى على أبوىّ وا لقبر الذى وارَاهما
لا مثل كهلى فى الكهو ل ولا فتى كفتاهما

* * *

ما خلّفا إذ ودعا فى سُودَد شرواهما
سادا بغير تكلف عفوا يفيض نداهما

قتل أبى عَفَك اليهودى — وأرسل رسول الله ﷺ سرية سالم بن عمير الانصارى الاوسى أحد بنى عمرو بن عوف ، الى أبى عفك اليهودى ، وكان شيخا كبيرا يحرض على النبى ويقول فيه الشعر ، فما زال سالم يطلب غرته حتى كانت ليلة صائفة ، نام أبو عفك بفناء منزله فاقبل اليه سالم فقتله .

غزوة بنى قَيْنُقَاع — وهم بطن من اليهود ، أشجعهم وأكثرهم مالا وأشدهم بغيا ، وقد علمت فى أخبار الهجرة أن رسول الله وادعهم على ألاّ يحاربوه ولا يؤلبوا عليه عدوه. وهم طوائف اليهود الثلاثة: قريظة والنضير وبنو قينقاع .

وكان أولَ من نقض العهد بنو قَينُقَاع ، فحاربهم بعد بدر بشهر ، وقدّم إلى ذلك بأنه جمعهم فى سوقهم وقال : يامعشر يهود ، أسلموا قبل أن يصيبكم ما أصاب قريشا ، فقالوا أنهم لايعرفون القتال فأصبت منهم ، ولو قاتلناك لعرفت أنا الرجال ، فأنزل الله تعالى (قل للذين كفروا ستغلبون ...) الآيات .

ثم كان من أمرهم بعد ذلك أن زوجة أحد الأنصار قدمت بجلب لها فباعته بسوقهم ، وجلست الى صائغ يهودى ، فراودها على كشف وجهها فأبت ، فعمد إلى طَرَف ثوبها فعقده الى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوأتها ، فضحكوا منها فصاحت ، فوثب رجل مسلم على هذا الصائغ فقتله ، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، ووقع الشر بين المسلمين وبين بنى قينقاع ، وكانوا لما كانت وقعة بدر قد اظهروا البغى والحسد ونبذوا العهد والمدة فأنزل الله على رسوله (واما تخافن من قوم خيانة ....) الآية ، فقال انا اخاف من بنى قينقاع ، فسار اليهم فى شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة ، فحاصرهم اشد الحصار خمس عشرة ليلة ، فنزلوا على حكم النبى ، على ان له اموالهم وان لهم النساء والذرية ، فأمر النبى بتكتيفهم يريد ان يقتلهم ، فكلمه رأس المنافقين عبد الله بن ابى فيهم . والح من اجلهم ، فأمر ﷺ ان يُحلوا وتركهم

من القتل ، وامر ان يُجْلوا من المدينة فيلحقوا بأذرعات أو خيبر ، فما كان اقل بقاءهم فيها ، واخذ من حصنهم سلاحا وآلة كثيرة واخذ الخمس من الغنائم .

وكان عبادة بن الصامت حليفا لهم فتبرأ من حلفهم ، ونزل فيه وفى ابن ابى قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء) الآيات ، الى قوله (هم الغالبون)

مقتل كعب بن الاشرف

كان من حديث هذا الرجل ، أنه لما أصيب اصحاب بدر وجاء بشيرا رسـول الله الى أهل العالية والسافلة بفتح الله ، وقتل من قتل من المشركين ، قال كعب ، وهو من طيء وأمه من بنى النضير : أحق هذا؟ أترون محمدا قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان ؟ فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس ؛ والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء لبطن الارض خير من ظهرها ، فلما تيقن عدو الله الخبر ، ورأى الاسرى مقرّنين ، كبت وذل ، وخرج حتى قدم مكة على المطلب السهمى وعنده عاتكة بنت أسيد بن أبى العيص بن أمية ، فأنزلته وأكرمته ، وجعل يحرض على رسول الله وينشد الاشعار ويبكى أصحاب القليب من قريش الذين أصيبوا ببدر ، ثم رجع الى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم ، ومنهن أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب قال فيها :

أراحل أنت لم ترحل بمنقبة ... وتارك أنت أم الفضل بالحرم
صفراء رادعة لو تعصر انعصرت ... من ذى القوارير والحناء والكتم
يرتج ما بين كعبيها ومرفقها ... اذا تأتت قياما ثم لم تقم

أشباه أم حكيم إذ تواصلنا والحبل منها متين غير منجذم

إلى أن يقول :-

لم أر شمسا بليل قبلها طلعت حتى تجلت لنا فى ليلة الظلم

فقال رسول الله من لى بابن الاشرف فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا وقد خرج إلى المشركين فجمعهم على قتالنا ؟ فقال محمد بن مسلمة أخو بنى عبد الاشهل، وكان أخا كعب من الرضاع : أنا لك به يارسول الله ، أنا أقتله ، قال فافعل إن قدرت على ذلك ، فأقام ثلاثا ثم رجع إلى النبى فقال: إنه لا بد لنا أن نقول (فنقول) ، قال قولوا مابدا لكم فأنتم فى حل من ذلك، فاجتمع فى قتله مع ابن مسلمة أبو نائلة وكان أخا كعب من الرضاع ، وثلاثة آخرون والخمسة من الاوس ، ثم قدّموا قبل أن يأتوه أبا نائلة فتحدث معه ساعة وتناشدوا شعرا ، ثم قال له ويحك يابن الأشرف! إنى قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك . فاكتم عنى : قال أفعلُ ، قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء ، عادتنا به العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل، حتى جاع العيال ، وجهدت الانفس .. فقال كعب : أنا ابن الاشرف، أم والله لقد كنت أخبرتك يابن سلامة ان الامر سيصير الى ماأقول، فقال له انى قد أردت أن تبيعنا طعاما لك ونرهنك ونوثق لك وتحسن فى ذلك ، فقال أترهنونى أبناءكم ؟ قال لقد أردت أن تفضحنا ، ان معى أصحابا لى على مثل رأيى ، وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم ونوثق لك وتحسن فى ذلك ، ونرهنك من الحلقة مافيه وفاء ، (أراد أبو نائلة ألا ينكر ابن الاشرف السلاح إذا جاءوا به) قال : ان فى الحلقة لوفاء ، فرجع أبو نائلة الى أصحابه

وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا اليه ، فاجتمعوا عند النبي ، ثم مضوا فمشى معهم رسول الله الى البقيع ، ثم وجههم وقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم ، ورجع الى بيته ، أما الجماعة فانهم انتهوا إلى حصن كعب فهتف به أبو نائلة ، وكان حديث عهد بعرس ، فوثب وعليه ملحفته ، فأخذت امرأته بناحيتها ، وقالت انك امرؤ تحارب ، وان أصحاب الحرب لاينزلون فى هذه الساعة ، قال انه ابو نائلة ، لو وجدنى نائما ما ايقظنى ، فقالت : والله انى لاعرف الشر فى صوته ، فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا ، ثم قال له ابو نائلة هل لك يابن الاشرف ان نتماشى الى شعب كذا فنتحدث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم ، فخرجوا يتماشون فشام ابو نائلة يده فى فَوْدرأسه (ادخلها) ثم شم يده فقال مارايت كالليلة طيبا اعطر ، ثم مشى ساعة وعاد لمثلها حتى اطمأن ، ثم عاد لمثلها فأخذ بفود رأسه ثم قال : اضربوا عدو الله فضربوه ، فاختلفت عليه اسيافهم فلم تغن شيئا ، فطعنه محمد بن مسلمة بمغول (شبه سيف او حديدة دقيقه لها حد ماض) فى ثُنته (سرته) قال ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ، فصاح صيحة اوقدت من اجلها حصون اليهود ووقع عدو الله ميتا ، واجتمعت اليهود فاخذوا على غير طريق الصحابة ففاتوهم ، واصاب أحدَ الجماعة سيفه فلم يجار اخوانه فى الفرار ، فوقفوا له ساعة ثم احتملوه فجاءوا به رسول الله آخر الليل وهو قائم يصلى ، فخرج اليهم بعد ان سلم ، فأخبروه بقتل عدو الله ورموا برأسه بين يديه ، ورجعوا الى أهلهم ، ثم أصبحوا وقد خاف اليهود ، فما كان بالمدينه يهودى الا خاف على نفسه فلم يطلع من

زعمائهم أحد ، ولم ينطقوا ، وخافوا أن يبيّتوا كما بيت كعب ، وأتوا رسول الله فقالوا قتل سيدنا غيلة ، فذكرهم صنيعه ، وما كان يحرض عليه ويؤذى المسلمين ، ودعاهم إلى أن يكتبوا بينه وبينهم صلحا . وكان قتل كعب بمثابة اعلان الحرب على بنى النضير ، لأنه من زعمائهم ، وقال رسول الله : من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه

فوثب محيصة بن مسعود الاوسى على رجل تاجر من اليهود كان يلابسهم ويبايعهم ، واسمه سُبَينة ، فقتله . فجعل حويصة بن مسعود يضرب أخاه من جراء قتله ، ويقول : لرُبّ شحم فى بطنك من ماله ، قال محيصة والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك ، فعجب حويصة وقال : والله ان دينا بلغ بك هذا لعجب ، واسلم حويصة إذ ذاك فقط ، وكان أسنّ من أخيه محيصة .

غزوة السويق

لما انصرف أبو سفيان من بدر ، نذران يغزو المدينة ، فخرج فى مائتى راكب ، حتى أتى بنى النضير ليلا ، فتوارى عنه حيي بن أخطب ، ولقيه سلام بن مشكم وقراه وأعلمه بخبر الناس ، ومر أبو سفيان باطراف المدينة فحرق نخلا ، وقتل رجلين فى حرث لهما ، فنفر رسول الله والمسلمون حتى بلغ الكدر وفاته أبو سفيان والمشركون ، وقد طرحوا السويق من أزوادهم ليتخففوا ، فأخذه المسلمون ، فلذلك سميت غزوة السويق ، وكانت بعد بدر بشهرين .

غزوة أحد

أحد جبل بالمدينة ، بين أوله وبين باب البقيع ميلان وأربعة أسباع ميل ، وهو الذى قال ﷺ فيه : أحد جبل يحبنا ونحبه ، ويبعد عن المدينة بنحو ٥٠ دقيقة للماشى المجد المسرع .

(١) سببها - وكان سبب غزوة أحد أنه لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحابُ القليب ، ورجع فلهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان ابن حرب بعيره ، مشى رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وإخوانهم يوم بدر فكلموا أبا سفيان ومن كانت له فى تلك العير تجارة ، فقالوا يامعشر قريش إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم ، فاعينونا بهذا المال على حربه ، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا :فاجابوا إلى ذلك، فباعوها فكانت ألف بعير ، والمال خمسون الف دينار ، فساموا إلى أهل العير رءوس اموالهم واخرجوا ارباحهم ، وفيهم أنزل الله تعالى (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ...الآية) .

(٢) - واجتمعت قريش لحرب رسول الله بأحابيشها ، ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة ، وخرج معهم أبو عزة ، وهو ممن من رسول الله عليهم من أسرى بدر لفقره وكثرة عياله ، فخرج فى تهامة يدعو بنى كنانة ، ودعا جبيرُ بن مطعم غلاما حبشيا يقال له وحشى يقذف بحربة له قذف الحبشة فلما يخطىء بها ، فقال : اخرج مع الناس ، فان قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى ، فأنت عتيق ، وكتب العباس يخبر رسول الله بخبرهم .

وخرجت قريش بحدها ومن تابعها ، فكانوا ثلاثة آلاف فيهم ٧٠٠ دارع ، ٢٠٠ فرس وثلاثة آلاف بعير ، وخرجوا معهم بالظعن — التماس الحفيظة (أى الغضب للحرم) وألا يفروا — فخرج أبو سفيان بامرأته هند بنت عتبة ، وخرج عكرمة بن أبي جهل ، والحرث بن هشام ، وصفوان بن أمية ، وعمر بن العاص ، وطلحة بن أبي طلحة وغيرهم كل بامرأته — وخرجت خناس بنت مالك مع ابنها عزيز بن عمير أخى مصعب شقيقه ، فكن خمس عشرة امرأة من أشرافهم .

وكانت هند كلما مرت بوحشى قالت ويها أبا دسمة ، اشف واشتف ، فاقبلوا حتى نزلوا على شفير الوادى مقابل المدينة .

(٣) فلما سمع رسول الله والمسلمون أنهم نزلوا حيث نزلوا ، قال للناس : إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فان أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها ، وكان هذا رأى عبد الله ابن أبيّ أيضا وهو من كبار المجربين للأمور ، وكان الرسول يكره الخروج اليهم ، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد ، وغيرهم ممن كان فاتهم بدر ، وهم شباب الناس : يارسول الله اخرج بنا الى أعدائنا ، لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا : فقال ابن أبي يارسول الله ، أقم بالمدينة لا تخرج اليهم ، فو الله ما خرجنا منها الى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه ، فدعهم يارسول الله فان أقاموا أقاموا بشر محبس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا ، فلم يزل الناس برسول الله حتى عدل عن رأيه ، وترجح عنده موافقة الشبان

على رأيهم ، لاسيما وقد وافقهم بعض الاكابر من المهاجرين (كحمزة) ومن الانصار (كسعد بن عبادة) ، خصوصا والجهاد متعين ، لأن العدو قد جثم ، ثم قام فصلى بهم الجمعة ووعظهم وأمرهم بالجد ، وأخبرهم أن لهم النصر ماصبروا ، وأمرهم بالتهيؤ ، ففرح الناس بذلك ، ثم صلى بهم العصر وقد حشدوا ، ثم دخل فلبس لأمته ، ثم خرج عليهم وقد ندم الناس : وقالوا استكرهنا رسول الله ، ولم يكن لنا ذلك ـ فقالوا يارسول الله استكرهناك ولم يكن لنا ذلك ، فان شئت فاقعد ، فقال ماينبغى لنبى اذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل .

(٤) وخرج فى ألف من أصحابه ، وخرج السعدان يعدوان أمامه دارعين ، حتى اذا كانوا بين المدينة وأحد . انخزل عنه عبد الله بن أبى بثلث الناس ، وقال أطاعهم وعصانى ، ماندرى علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس ! ـ فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم أحد بنى سلمة يقول : ياقوم اذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم عند ماحضر من عدوهم ، فقالوا : (لو نعلم قتالا لاتبعناكم) فدعا عليهم وقال فسيغنى الله نبيه عنكم . فلما أنخزل ابن أبى بمن معه ، سقط فى أيدى طائفتين من المسلمين ، وهما أن يفشلا ، وهما بنو حارثة من الخزرج ، وبنو سَلِمة من الأوس فدفع الله عنهما ماهما به .

وقال الانصار لرسول الله : إلا نستعين بحلفائنا من يهود ؟ فقال : لاحاجة لنا فيهم ، ومضى رسول الله حتى سلك فى حرة بنى حارثة وقال : الا من رجل يخرج بنا على القوم من كثب (أى من قرب) من طريق لايمر بنا عليهم ، فدله أبو خيثمة أحد بنى الحرث عليه ، فمضى حتى نزل

الشعب من أُحد فى عُدوة الوادى الى الجبل ، فجعل عسكره وظهره إلى أحد ، وقال لايقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال ،

(٥) — وتعبى رسول للقتال وهو فى سبعمائة رجل ، وأمّر على الرماة عبدالله بن جبير الاوسى وهو معْلم يومئذ بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلا ، فقال ، انضح الخيل عنا بالنبل لايأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك ، لانؤتين من قِبَلك ، وروى أنه أقامهم فى موضع ثم قال لهم : احموا ظهورنا ، فأن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا . وان رأيتمونا قد غنمنا فلا تَشْركونا ، وارشقوهم بالنبل ، فان الخيل لاتقوم على النبل ، انا لن نزال غالبين ماثبتم مكانكم ، اللهم انى اشهدك عليهم . ودفع اللواء الى مصعب بن عمير ، ورد أسامة بن زيد ، وعبدالله بن عمر ، وزيد بن ثابت أحد بنى مالك ، والبراء بن عازب ، وغيرهم وهم أبناء خمس عشرة سنة ، وأعطى رسول الله أبا دجانة سيفا وكان شجاعا يختال عند الحرب إذا كانت ، وكان اذا أعلم بعصابة له حمراء فاعتصب بها ، علم الناس أنه سيقاتل ، فاما أخذ السيف أخرج عصابته فعصب بها رأسه فقالت الانصار : أخرج عصابة الموت ، وجعل يتبختر بها بين الصفين ، فقال رسول الله إنها لمشية يبغضها الله إلا فى مثل هذا الموطن ،

وتعبت قريش وكان على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل ، وعلى المشاة صفوان بن أمية أو عمرو بن العاصى ، وعلى الرماة — وكانوا مائة — عبد الله بن أبى ربيعة ، وقد اسلموا كلهم وأراد أبو سفيان أن يحرض أصحاب اللواء من بنى عبدالدار

فقال . يابنى عبد الدار ، انكم قد وليتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ماقد رأيتم وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم ، اذا زالت زالوا ، فاما أن تكفونا لواءنا ، وأما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه ، فهموا به وتواعدوه ، وقالوا ستعلم غداً اذا التقينا كيف نصنع ؟ وهذا ماكان يريد أبو سفيان من تحريضهم حتى لاتأخذهم هوادة .

(٦) ـ فاما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة فى النسوة اللاتى معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم ، فاقتتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن فى الناس وهو يقول

أنا الذى عاهدنى خليلى ونحن بالسفح لدى النخيل
ألاَّ أقوم الدهر فى الكيُّول أضربْ بسيف الله والرسول

(الكيول مؤخر الصفوف ، وتسكين باء اضرب لكثرة الحركات أولارادة الادغام لان النظم لايستقيم بدونه)

فجعل لايلق أحداً الا قتله ، وحمل السيف على مفرق هند بنت عتبة ثم عدل عنها . وقيل له فى ذلك فقال : كرهت أن أضرب بسيف رسول الله امرأة لاناصر لها ، وصمد لانسان من قريش فولول فاذا هو امرأة ، فقال أكرمت سيف رسول الله ان أضرب به امرأة

وقاتل حمزة بن عبدالمطلب فأثخن فى الرؤساء حتى قتل ارطاة ابن شرحبيل بن هاشم بن عبدمناف بن عبد الدار بن قصى ، وكان ثامن النفر الذين يحملون اللواء ، وتحداه سباع بن عبد العزيز ، فلما التقيا ضربه

حمزة فقتله ، وقتل علىّ مبارزة طلحة بن أبى طلحة صاحب لواء المشركين الأول ، فحمل لواءهم عثمان بن أبى طلحة ، فحمل عليه حمزة فقطع يديه وكتفيه فمات ، وهكذا كلما هوى رجل منهم قتيلا حمل اللواء ثان حتى كملت عدتهم عشرة ، ثم أنزل الله نصره على المسلمين فحسّوا الكفار قلا بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة ، فولى الكفار لايلوون على شىء ، ونساؤهم يدعون بالويل والثبور ، وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم ، ووقعوا ينتهبون العسكر ، ويأخذون مافيه من الغنائم

٧ — حديث وحشى وقتل حمزة

حدث وحشى قال ، والله انى لأنظر الى حمزة يهد الناس بسيفه مايقوم له شىء مثل الجمل الاورق ، إذ تقدمنى سباع الخزاعى ، يطلب المبارزة ، فخرج اليه حمزة فضربه ضربة فكان كأمس الذاهب ، وروى : فكأنما أخطأ رأسه ، وهذا يقال عند المبالغة فى الاصابة ، وهززت حربتى ، حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فى ثُنّتِهِ (العانة) حتى خرجت من بين وركيه ، فاقبل نحوى فغُلب فوقع ، وأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذت حربتى ، ثم تنحيت إلى العسكر فقعدت فيه ، ولم يكن لى بغيره حاجة ، وإنما قتلته لأعتق ، فلما قدمت مكة عتقت ، ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله مكة هربت إلى الطائف ، فلما خرج وفد الطائف الى رسول الله ليسلموا ، تَعَيَّت علىّ المذاهب ، حتى قال لى رجل ويحك ! انه والله مايقتل أحدا من الناس دخل فى دينه وتشهد شهادة الحق ، فلم يرع رسول الله إلا بى قائما على رأسه أتشهد بشهادة الحق . فلما رآنى قال : أوحشى ؟ قلت نعم قال : أقعد فحدثنى كيف

قتلت حمزة ؟ فحدثته ، فلما فرغت قال : ويحك ! غيّب عني وجهك فلا رأيتك ، فكنت أتنكب رسول الله حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله ، فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة أخذت حربتي التي قتلت بها حمزة ، فتهيأت له وتهيأ له رجل من الانصار ، ودفعتها عليه فوقعت فيه ، وشد عليه الانصاري بالسيف ، فربك أعلم أينا قتله ، فان كنت قتلته ، فقد قتلت خير الناس بعد رسول ، وقد قتلت شر الناس

عود ، وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله حتى قتل ، قتله ابن قمئة الليثي ، وهو يظن أنه رسول الله ، ورجع إلى قريش وهو يقول قتلت محمدا ، وحمل اللواء بعد مصعب علي بن أبي طالب ورجال من المسلمين ،

وجلس رسول الله تحت راية الانصار حين اشتد القتال ، وأرسل إلى علي بن أبي طالب أن قدم الراية ، فتقدم وقال أنا أبو القصم (الدواهي) ، فبرز له صاحب لواء المشركين طلحة وقال : هل لك في البراز من حاجة ، فبرزا بين الصفين فاختلفا ضربتين فضربه علي فصرعه ولم يجهز عليه ، لأنه استقبله بعورته

والتقى حنظلة بن أبي عامر وأبو سفيان ، فلما استعلاه حنظلة ضربه رجل من المشركين فقتله ، فقال رسول الله إن صاحبكم — يعني حنظلة — لتغسله الملائكة .

٨ — غلطة حربية تجر إلى الهزيمة

وكانت هزيمة المشركين لاشك فيها ، حتى قال الزبير والله لقد رأيتني أنظر الى خدم (خلاخل) هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوراب ،

مادون أخذهن قليل ولا كثير ، ثم مالت الرماة الى العسكر — حين كشفنا القوم عنه ، وخلوا ظهورنا للخيل فأتينا من خلفنا ، وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأنا وانكفأ علينا القوم ، بعد أن أصبنا أصحاب اللواء ، حتى مايدنو منه أحد من القوم ،

وروى أن أصحاب عبد الله بن جبير قالوا الغنيمة أى قوم الغنيمة! ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال ابن جبير : انسيتم ماقال لكم رسول الله؟ قالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة ؛ فانطلقوا يتبعون العسكر وينتهبون معهم وخلوا الجبل ؛ قيل ، ونظر خالد بن الوليد الى خلاء الجبل وقلة أهله ، فكر بالخيل وتبعه عكرمة ، فحملوا على من بقى من النفر الرماة فقتلوهم وأميرهم ، ثم رموا المسلمين من الخلف فعطفوا يقتل بعضهم بعضا وهم لايشعرون ، وانهزم طائفة منهم إلى جهة المدينة ، وتفرق سائرهم (بقيتهم) ووقع فيهم القتل ، وثبت النبي فى أربعة عشر رجلا من أصحابه فقط ، سبعة من المهاجرين فيهم أبو بكر وسبعة من الانصار فيهم أبو دُجانة .

وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة ، حتى خلص العدو الى رسول الله ، فدث بالحجارة حتى وقع لشقه ، فاصيبت رباعيته ، وشج فى وجهه . وكلمت شفته ، وكان الذى أصابه عتبة بن أبي وقاص ، فأخذ على بن أبى طالب بيد رسول الله ، ورفعه طلحة حتى استوى قائما .

وتترّس دون رسول الله أبو دجانة بنفسه ، يقع النبل فى ظهره وهو منحن عليه ، حتى كثر النبل فيه — وكان أول من عرف رسول

الله بعد الهزيمة وقول الناس قتل رسول الله ، كعب بن مالك ، قال فناديت بأعلى صوتي يامعشر المسلمين أبشروا ، هذا رسول الله . فلما عرف المسلمون رسول الله نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب ومعه وجوه المهاجرين ورهط من المسلمين بايعوه على الموت ، فلما أسند أدركه أبي بن خلف وهو يقول : أي محمد ، لانجوتُ أن نجوتَ ! ، فقالوا يارسول الله أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال دعوه ، فلما دنا تناول رسول الله حربة الحرث بن الصمة ، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا ، فمات والمشركون قافلون به الى مكة .

وبينا رسول الله في الشعب ومعه هؤلاء ، اذ علت عالية من قريش الجبل ، فقال النبي : اللهم لاينبغي لهم أن يعلونا ، فقاتل عُمَر ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل ، ونهض رسول الله ليعلو فلم يستطع ، فجلس تحته طلحة فنهض به حتى استوى على الصخرة ، وكان الناس قد انهزموا عن رسول حتى انتهوا إلى المَنَقّى دون الاعوص الى أحد .

٩ — أمر هند والمثلة بحمزة

ووقفت هند بنت عتبة بن ربيعة زوج أبي سفيان بن حرب ، وأم معاوية ، والنسوة اللاتي معها ، يمثلن بالقتلى من أصحاب النبي يَجْدَعْنَ الآذان والأُنُفَ حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خَدَما وقلائد (الخدم الخلاخيل الواحدة خدمة) ، وأعطت خَدَمَها وقلادتها وقرطها وحشيا قاتل حمزة ، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها وقالت :

شفيت من حمزة نفسى بأُحد حتى بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عنى ذاك ما كنت أجد من لذعة الحزن الشديد المعتمد

ولما التمسه رسول الله بين القتلى فوجده ، نظر الى شيء لم ينظر الى شيء أوجع لقلبه منه ، فقال : رحمة الله عليك ، لقد كنت فعولا للخير ، وصولا للرحم ، ولولا حزن من بعدك عليك لسرنى أن أدعك حتى تحشر من أفواه شتى — يريد أنه يتركه للسباع والطير من غير دفن ، وقد مُثل أيضا بعبد الله بن جحش وهو ابن أخت حمزة .

ثم حلف وهو مكانه : لأمثلن بسبعين منهم ، فنزل القرآن (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) فصبر وكفر عن يمينه وأمسك عما أراد .

(١٠) ثم إن أبا سفيان أشرف على الجبل وصرخ بأعلى صوته فقال أَنَعَمَتْ (أجابت الازلام بنعم) فَعالِ (اما كقطام معدول عن فاعله أو ان الفاء عاطفه ، وعال أمر) إن الحرب سجال ، يوم بيوم بدر . اُعل هبل (زد علوا) فقال رسول الله : قم ياعمر فأجبه فقل : الله أعلى وأجل ، قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار . فلما سمعه أبو سفيان قال : هلم الىّ ياعمر ، فاذن اليه النبي فجاءه . فقال أبو سفيان أقتلنا محمدا ؟ قال اللهم لا ، وانه ليسمع كلامك الآن . قال : أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر . ثم انصرف ونادى : ان موعدكم بدر على راس الحول ، فقال النبي لعمر : قل نعم ، هو بيننا وبينك موعد — ثم بعث رسول الله عليا فقال : اخرج فى آثار القوم فانظر ماذا يصنعون ؟ فان كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الابل ، فانهم يريدون مكة ، وان ركبوا الخيل وساقوا

الابل ، فانهم يريدون المدينة . فو الذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرن اليهم ، ثم لأناجزنهم - قال على : فخرجت فى آثارهم أنظر ماذا يصنعون ، فجنبوا الخيل وامتطوا الابل ، ووجهوا الى مكة ، فقذف الله فى قلوبهم الرعب يومئذ فانهزموا الى مكة من غير سبب

(١١) وفرغ الناس لقتلاهم ، ولم يؤسر من المسلمين أحد ، وانما قتل منهم سبعون ، ستة منهم من المهاجرين . وقتل من المشركين يومئذ ثلاثة وعشرون منهم حملة اللواء من بنى عبد الدار عشرة ، وقتل ﷺ بيده أبى بن خلف - وأمر رسول الله بدفن الموتى حيث صرعوا ، فدفنوا بدمائهم ولم يغسلوا ، وأما ماورد من صلاته عليهم صلاته على الميت ، فالمراد دعاؤه لهم كدعائه للميت ، ثم رجع إلى المدينة يوم السبت يوم الوقعة فلقيته حمنة بنت جحش ، فنعى لها أخاها عبدالله فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها خالها حمزة فاسترجعت واستغفرت ، ثم نعى زوجها مصعب بن عمير ، فصاحت وولولت ، فقال النبى : إن زوج المرأة منها بمكان .

حمراء الاسد - ولما كان الغد يوم الاحد لست عشرة ليلة مضت من شوال ، جاء رجل من الصحابة فاخبره أن قريشا قد نزلوا مالم ، وقد سمعهم يقولون : ماصنعتم شيئا ، اصبتم شوكة القوم وحدهم . ثم تركتموهم ولم تبيدوهم ، فقد بقى منهم رءوس يجمعون لكم ، فارجعوا نستأصل من بقى ، وصفوان بن أمية يأبى عليهم ذلك ، فدعا النبى أبابكر وعمر وقص عليهما ماسمع فقالا يارسول الله أطلب العدو لايقتحمون على الذرية ، فأذن مؤذن رسول الله فى الناس بطلب العدو ، وألا يخرج إلا من حضر يومنا

بالامس . أراد بذلك الرسول أن يرهب العدو ، وليبلغهم أنه خرج فى طلبهم ليظنوا به وبصحبه قوة ، وان الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم ، فخرج حتى انتهى إلى حمراء الاسد وهى على ثمانية أميال من المدينة على يسار الذاهب من المدينة الى ذى الحليفه ، فأقام بها ثلاثة أيام ، فمر به معبد الخزاعى ، وكانت خزاعة عيبة نصح للرسول مسلمهم ومشركهم ، فقال يامحمد ، أما والله لقد عز علينا ماأصابك فى أصحابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم ، وخرج حتى لقى أبا سفيان بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ، فلما رأى أبو سفيان معبداً قال ماوراءك يامعبد ؟ قال : محمد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقا ، قد اجتمع معه من قد تخلف عنه فى يومكم ، وندموا على ماصنعوا ، فيهم من الحنق عليكم شىء لم أر مثله قط ، قال : ويلك ماتقول ؟ قال ماأرى أن ترتحل حتى ترى نواصى الخيل ، قال لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم ، قال فانى أنهاك عن ذلك ، فثنى ذلك المشركين فرجعوا ، وأنزل الله فى المؤمنين : (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح إلى قوله : فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) الآية

عاد رسول الله إلى المدينة ، فأخذ معاوية بن المغيرة بن أبى العاصى ابن أمية بن عبد شمس أسيرا ، فأمر بضرب عنقه صبرا ، ثم أخذ أبا عزة الجمحى الذى أسر ببدر ومُنّ عليه ، فقال يارسول الله أقنى ، فقال : والله لاتمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول خدعت محمدا مرتين ، اضرب عنقه يازبير ، فضرب عنقه

هذا ـ وقد نزلت فى يوم أحد ستون آية من آل عمران ، فيها صفة ماكان فى يومهم ذلك ، ومعاتبة من عاتب منهم ، أولها « وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم » قال أهل السير : وقد كان فى قصة أحد وما أصيب به المسلمون حِكَم وفوائد ، منها : (١) تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية ، لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذى أمرهم النبى ألاّ يبرحوا منه (٢) أن عادة الرسل أن تبتلى وتكون العاقبة لهم ، إذ لو انتصروا دائما لدخل فى المسلمين من ليس منهم ، ولم يتميز الصادق من غيره ، ولو انكسروا دائما ، لم يحصل المقصود من البعثة ، فاقتضت الحكمة الجمع بين الامرين ليتميز المخلص من المنافق . فلما جرت هذه القصة وأظهر المنافقون ماأظهروا قولا وفعلا عرف المسلمون أن لهم عدوا فى دارهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم (٣) ان فى تخلف النصر فى بعض المواطن هضما للنفس وكسرا لشماختها وغرورها

وبعد فقد رأيت فى ثنايا هذه القصة : (١) ان النبى لم يخرج إلى قريش وهم بأحد إلا بعد ان استشار القوم ، وانه عمل برأى الأكثرية (٢) أنه مضى فى الأمر ولم يرجع لئلا يتهم بالخور فى العزيمة (٣) أن المسلمين انتصروا أولا حينما عملوا بأمر رسول الله وحافظوا عليه (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسّونهم بأذنه) (٤) أن ماحل بالمسلمين من الهزيمة بعد ذلك إنما كان من مخالفة الرماة أمر النبى ، (حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ماتحبون ، منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة) وأنهم خافوا أن يستأثر إخوانهم بشىء من

الغنيمة بعد النصر ،فأخلوا مراكزهم وفتحوا لخيل ابن الوليد الطريق، فأحدث حركة التفاف صار بها وراء ظهور المسلمين فضربهم من خلفهم وعاد المنهزمون من المشركين حينما رأوا ذلك فأخذوهم من الأمام ، وبذلك وحده حصلت هزيمة المسلمين (٥) أنه لم يؤسر من المسلمين أحد . وهذا أمر نادر الحدوث فى الحروب ، مع أن المسلمين غلبوا الكفار أولا ثم غلب المشركون بعد ذلك ، والفريقان فى فرة من العدد

وبعد فان أهل السير قالوا ان الهزيمة كانت للابتلاء ، والعاقبة للمسلمين ، والحكمة فى ذلك أنهم لو انتصروا دائما ، لدخل فى المسلمين من ليس منهم ، ولم يتميز الصادق من غيره ، ولو انهزموا دائما ، لم يحصل المقصود من البعثة ، فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين (وليبتلى الله مافى صدوركم ، وليمحص مافى قلوبكم والله عليم بذات الصدور) وذلك ان نفاق المنافقين كان مخفيا عن المسلمين ، فلما جرت القصة وأظهر أهل النفاق ما أظهروه قولا وفعلا عرف المسلمون أن لهم عدوا فى دارهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم .

ومنها أن فى تخلف النصر أحيانا ، هضما لكبرياء النفس وتعاظمها

بدر الموعد : فى شعبان سنة أربع خرج رسول الله فى الف وخمسمائة من أصحابه معهم عشره أفراس ، فأقاموا على بدر ينتظرون أبا سفيان ثمان ليال ، وخرج أبو سفيان حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران أو عسفان ، ثم بدا له الرجوع ، وقال يامعشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، وإن عامكم هذا عامُ جدب ، وإنى راجع فارجعوا ، فرجع الناس ، فسماهم أهل مكة جيش

السويق ، يقولون إنما خرجتم تشربون السويق . روى أن نعيما الاشجعى كان قد اعتمر وهو على شركه ، فاستخدمه أبو سفيان فى تثبيط أهل المدينة ، فقدم المدينة وأرجف بكثرة العدو ، فلما فعل ذلك رعب الناس ولم يبق لهم نية فى الخروج حتى خشى عليه السلام الا يخرج معه أحد وجاء العمران فقالا : قد وعدنا القوم موعدا لانحب أن نتخلف عنه فيروا أن هذا جبن ، فسر لموعدهم ، فوالله ان فى ذلك لخيرة ، فسر بذلك وقال : والذى نفسى بيده لأخرجن وإن لم يخرج معى أحد ، وتسامع القوم فأنار الله بصائرهم وخرجوا مع الرسول الى بدر ؛ فقال المنافقون للمؤمنين : قد قتلوكم عند بيوتكم ، فكيف إذا أتيتموهم فى بلادكم وقد جمعوا لكم ؟ والله لاترجعون ابدا ، فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فأنزل الله فى ذلك قوله (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم ....) الآية .

ولما وصل الرسول إلى بدر لم يلق عدوا فاقام ، ووافقت أيامه هنالك قيام سوق بدر وكانت عظيمة ، فاتجر الصحابة وربحوا ربحا حسنا . (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء)

بعث الرجيع — الرجيع ماء لهذيل بين مكة وعسفان كانت الوقعة بالقرب منه فسميت به ، ويسمى حديثها حديث عَضَل والقاره ، (بطنان من بني الهون بن مدركه) قالوا : قدم على رسول الله بعد أحد رهط من عضل والقاره فقالوا إن فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابكم يفقهوننا ؛ فبعث معهم ستة أمّر عليهم عاصم بن ثابت ، فخرجوا مع القوم حتى أتوا الرجيع فغدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلا ، فلم

يرع القوم — وهم فى رحالهم — إلا الرجال بايديهم السيوف وقد غشوهم ، فأخذ الصحابة سيوفهم فقال لهم الناس مانريد قتالكم ، لكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه الا نقتلكم ، فأبوا وقالوا لا نقبل من مشرك عهدا ، وقاتل ثلاثة منهم فقتلوا ، ونزل اليهم على العهد باقى الصحابة ، فقتلوا أحدهم وأنصرفوا بالآخرين الى مكة فباعوهما باسيرين من هذيل كانا بمكة . فقتلتهما قريش . وسيأتى غزو بنى لحيان .

خبر بئر معونة — أو سرية المنذر بن عمرو الخزرجى : والبئر بين أرض بنى عامر وحرة بنى سُليم وهى إلى الثانية أقرب ، وكان ارسال السرية بعد أحد بأربعة أشهر .

وسببها أنه قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر العامرى المعروف بملاعب الاسنة على رسول الله ، فعرض عليه الاسلام ودعاه اليه ، فلم يُسلم ولم يَبْعُد ، وقال : يامحمد لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك لرجوت أن يستجيبوا لك ، فقال له إنى أخشى عليهم أهل نجد ، قال : أنا لهم جار ، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك ، فبعث النبى المنذر بن عمرو فى أربعين رجلا من خيار المسلمين وهم القراء ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، فلما نزلوها بعثوا رجلا منهم بكتاب النبى الى عامر بن الطفيل العامرى وهو ابن أخى أبى براء ، فعدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم قومه بنى عامر ، فأبوا أن يجيبوه : وقالوا لن نُخفِرَ أبا براء (لن ننقض عهده) وقد عقدلهم عقدا وجوارا ، فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم فأجابوه ، وأحاطوا بأصحاب النبى وهم فى رحالهم ، فلما رأوهم ، أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم

حتى قتلوا جميعا (رحمهم الله) إلا كعب بن زيد الانصارى ، تركوه وبه رمق فنجا ، وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمرى ورجل من الانصار ، فلم ينبئها بمصاب أصحابها الا الطير تحوم على العسكر ، فاقبلا لينظرا فاذا القوم فى دمائهم ، وإذا الخيل التى أصابتهم واقفة ، فقال الانصارى لعمرو بن أمية ماترى ؟ قال أرى أن نلحق برسول الله فنخبره الخبر ، فقال الانصارى : لكنى ماكنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ، ثم قاتل القوم حتى قتل وأُخِذَ عمرو أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه ابن الطفيل ، وجز ناصيته ، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه ، فخرج عمرو حتى أوى الى ناحية مستظلا ، فنزل عليه رجلان فى ظله كان معهما عقد من رسول الله وجوار ، لم يعلم به عمرو ، وإذا هما عامريان ، فأمهلهما حتى ناما ، وعدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثأره من بنى عامر — فلما قدم على رسول الله فأخبره الخبر ، قال لقد قتلت قتيلين لادِيَنَّهما ، ثم قال : هذا عمل أبى براء ، لقد كنت لهذا كارها متخوفاً ، فشق على أبى براء ماكان من ابن أخيه عامر فمات أسفا ، وحمل أحدُ بنيه على عامر بن الطفيل فطعنه بالرمح فى فخذه فأشواه ، وقد أتى خبرهم وخبر بعث الرجيع فى ليلة واحدة إلى رسول الله ﷺ

حديث بنى النضير — ولما كان هذا ، خرج رسول الله إلى بنى النضير يستعينهم فى دية ذينك القتيلين من بنى عامر ، وهما اللذان قتلهما عمرو بن أمية ، للجوار الذى كان النبى عقده لهما ، وكان بين بنى النضير وبين بنى عامر عَقْد وحلف ، فلما جاءهم رسول الله لذلك قالوا ياأبا القاسم ،

نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ، وذلك ليتمكنوا من تدبير ما أرادوه ، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل هذا الحال منفرداً ليس معه إلا نحو العشرة (والنبي إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد) قالوا : فَمَنْ رجل يعلو هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ؟ فقال أحدهم أنا لذلك ، فصعد ليلقى عليه الصخرة ، فقال سلاّم بن مِشكم لا تفعلوا ، والله ليُخبَرَنَّ بما هممتم به ، وانه لنقض العهد الذى بيننا وبينه ، وأتى رسول الله ﷺ خبر السماء بما أراد القوم ، فقام وترك أصحابه فى مجالسهم ورجع إلى المدينة ، فلما استلبث النبىَّ أصحابه قاموا فى طلبه ، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه ، فقال رأيته داخلا المدينة ، فأقبلوا حتى انتهوا اليه فأخبرهم الخبر ، وأمر بالتهيؤ لحرب بنى النضير والسير اليهم ، ثم سار بالناس حتى نزل بهم ، فحاصرهم ست ليال وقيل خمسة عشر يوما ، فتحصنوا منه فى الحصون ، فأمر النبى بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه يامحمد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخيل وتحريقها ؟ فوقع فى نفوس بعض المسلمين من هذا الكلام شىء حتى أنزل الله (ماقطعتم من لينة الآية) إلى قوله (وليخزى الفاسقين) واللينة وجمعها لِيان : ألوان التمر أو كرام النخل أو كل شىء من النخل سوى العجوة .

وكان رهط عبد الله بن أبى قد بعثوا إلى بنى النضير أن اثبتوا وتمنعوا ، فأنا لن نسلمكم ، (لئن أخرجتم لنخرجن معكم ، ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم) ؛ فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا ، فقذف الله فى قلوبهم الرعب بقتل سيدهم كعب ، واعتزلتهم قريظة

وكذا حلفاؤهم من غطفان ، وسألوا رسول الله أن يجليهم ويكف عن دمائهم، وقال لهم رسول الله : اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الابل إلا الحلقة (الدرع) ، فنزلت يهود على ذلك ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به ، وحملوا النساء والصبيان على الهوادج واظهروا تجلدا عظيما ، وخرجوا فى ستمائة بعير إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ، فكان أشرافهم مَنْ سار إلى خيبر سلاّم بن أبى الحقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق ، وحُيَىّ بن أخطب ، فلما نزلوها دان لهم أهلها ، وخلوا الأموال لرسول الله ، فكانت له خاصة ، يضعها حيث شاء، لأن المسلمين لم يوجفوا عليهم بخيل ولا ركاب ، ولأنه لم يقع قتال أصلا ، فقسمها على المهاجرين ليرفع بذلك مئونتهم عن الانصار ، غير أنه أعطى سهل بن حنيف وأبا دُجّانة ، لأنهما ذكرا فقرا ، وأعطى سعد بن معاذ سيف سلام بن أبى الحقيق وكان سيفا له ذِكر عندهم ، ولم يقسم الأرض والنخيل ، وكان يزرع فى أرضهم تحت النخل ، فيدخر من ذلك قوت أهله وأزواجه سنة ، وما فضل جعله فى الكراع والسلاح ، وقد نزل فى بنى النضير سورة الحشر بأسرها ، ويقال ان غزوة بنى النضير هذه كانت بعد بدر بستة أشهر ، كما يقال ان السبب فى غزوهم عدم اشتراكهم فى وقعة أحد ، وكانت بينهم وبين النبى معاهدة دفاع

وكان النبى يعتبر أن غزوة أحد موجهة إلى أهل المدينة عامة ، فيجب عليهم أن يخرجوا للقاء العدو ، كما هو نص المعاهدة ، ولكنهم اعتذروا بالسبت — ويروى أن النبى لما قدم المدينة صالح بنى النضير

على ألا يكونوا له ولا عليه ، فلما ظهر يوم بدر قالوا إنه النبي المنعوت في التوراة بالنصرة ، فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا ، وخرج كعب بن الاشرف في أربعين راكبا إلى مكة وحالفوا أباسفيان فأمر النبي محمد بن مسلمة بقتله ، فكان قتله — كما سلف — بمثابة اعلان الحرب عليهم ، لأنه كان من زعمائهم ، ولذلك صبحهم بالكتائب ، صبيحة قتل ابن الاشرف ، وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء كما سبق ، والغرض أن تعلم أن الأسباب في غزو بني النضير متنوعة ، وتنتهي كلها بحصارهم واجلائهم عن المدينة

غزوة بني المصطلق

وتسمى المريسيع ، وكانت في شعبان سنة خمس على الصحيح ، والمريسيع ماء لخزاعه على يوم من المدينة ، وهم بنو جذيمة بن كعب بطن من خزاعة .

سببها — بلغ رسول الله أنهم يجمعون له ، وقائدهم الحرث بن أبي ضرار ، أبو جويرية بنت الحرث ، زوج رسول الله ، فبعث رسول الله من يعلم علم ذلك ، فلقي الحرث وكلمه ، فوجدهم قد جمعوا الجموع ، فرجع إلى النبي فأخبره خبرهم ، فندب الناس وخرج مسرعاً في بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزاة قط مثلها ، وبلغ الحرث ومن معه مسيره فسيئوا بذلك وخافوا ، فتفرق عنهم من كان معهم من العرب ، فخرج اليهم حتى لقيهم على المريسيع ، فتزاحف الناس وترامو بالنبل ساعة ، ثم أمر ﷺ أصحابه فحملوا حملة رجل واحد ، فما أفلت منهم إنسان

وقتلوا عشرة وأسروا سائرهم وكانوا أكثر من سبعمائة ، والأبل الف ، والشاء خمسة آلاف ، والسبي مائتا بيت ؛ ويروى أن الاغارة كانت على حين غفلة منهم وانعامهم تستقى على الماء فدهمهم ، فهزم الله بنى المصطلق ونفل رسوله أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءهم عليه ، ولم يقتل من المسلمين الا رجل من بنى كلب أصابه رجل من الانصار وهو يرى أنه من العدو .

وبينا الناس على ذلك الماء وردت واردتهم ، فاختلف على الماء خادم لعمر بن الخطاب من بنى غفار ، مع سنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف من الخزرج ، فاقتتلا ، فصرخ الجهنى يامعشر الانصار وصرخ الغفارى يامعشر المهاجرين ، فغضب عبد الله بن أبى وقال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، وقال لمن حضره من قومه هذا مافعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، فسمع بذلك رسول الله وعنده عمر بن الخطاب ، فقال عمر : مر به عبادة بن بشر فليقتله ، فلم يقبل ، وقال أذن فى الناس بالرحيل ، فأذن وكانت الساعة غير مناسبة ، فارتحل الناس ، ومشى ابن أبى إلى النبي حينما سمع أن الحديث بلغه ، فحلف بالله ماقلت ، وكان شريفاً فى قومه فتعلل له مَنْ حضر عند النبي من الانصار من أصحابه ، ولما استقل النبي وسار لقيه أُسَيد بن حضير ، فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ، وقال له لقد رحت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فى مثلها ، فقال له : أو مابلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأى صاحب يارسول الله ؟ قال : عبد الله بن أبى ، قال : وما قال ؟ فقص عليه النبي ماسمع عنه ، قال : فانت يارسول الله

والله تخرجه منها ان شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ، ثم قال يارسول الله ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ، فانه ليرى أنك قد استلبته ملكا ـ ثم مشى رسول الله يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فناموا من التعب ، وانما فعل النبي ذلك بالناس ليشغلهم عن حديث ابن أبي ، ثم ارتحلوا ونزلت سورة المنافقين فى ابن أبي ومن كان على مثل أمره ـ وبلغ عبدالله بن عبدالله بن أبي الذى كان من أمر أبيه ، فجاء إلى النبي وقال : بلغنى أنك تريد قتل أبي فيما بلغك عنه ، فان كنت لابد فاعلا فمرنى به ... وانى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلا تدعنى نفسى إلى قاتل أبي يمشى فى الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر ، فادخل النار ، فقال الرسول : بل نترفق به ونحسن صحبته مابقى معنا ، فكان ابن أبي بعد ذلك إذا أحدث الحدث ، كان قومه هم الذين يعاتبونه ويعنفونه

هذا — وقد قسم رسول الله ﷺ سبى بنى المصطلق فى المسلمين ، وكانت جويرية بنت الحرث قد وقعت فى سهم ثابت بن قيس ، فكاتبته على نفسها ، فأتت رسول الله فى كتابتها ، وقالت له : أنا جويرية بنت الحرث بن أبي ضرار سيد قومه ، وقد أصابنى من البلاء مالا يخفى عليك ، فوقعت فى سهم ثابت فكاتبته على نفسى ، فجئتك أستعينك على كتابته وأتزوجك ، قال : قد فعلت ، فانظر ماذا كانت نتائج هذا الزواج ؟ ان المسلمين لما علموا أن الرسول تزوج جويريه ، قالوا فى شأن أسرى قومها : أصهار رسول الله ، وأطلقوا ما بأيديهم ، ولقد

عتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ـ أما قومها فقد أسلموا عقب ذلك ، فأرسل اليهم رسول الله الوليد بن عقبة ، فلما سمعوا به ركبوا اليه ، فهابهم ورجع الى رسول الله فأخبره أن القوم هموا بقتله ومنعوه ماقبلهم من صدقتهم . فأكثر المسلمون فى ذكر غزوهم ، حتى هم النبى بأن يغزوهم . وبينما هم على ذلك قدم وفدهم على الرسول وقالوا سمعنا برسولك فخرجنا اليه لنكرمه ونؤدى اليه ماقبلنا من الصدقة ، فانشمر راجعا ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله أنا خرجنا اليه لقتله ، والله ماجئنا لذلك ـ وكانت خزاعة بعد ذلك عيبة نصح لرسول الله ، مسلمها ومشركها ، وذلك كله نتيجة هذه المصاهرة . ويروى أن جويرة كلمت رسول الله فى قومها فوهبهم لها ، فسارع المسلمون إلى اطلاقهم قبل أن يطلب اليهم ذلك

حديث الأفك

ولما كان رسول الله قريبا من المدينة وكانت معه عائشة فى سفره ذلك، قال فيها أهل الأفك ماقالوا

قالت عائشة ، لما قفل رسول الله من سفره ذلك ، وكان قريبا من المدينة ، نزل منزلا فبات به بعض الليل ، ثم أذن فى الناس بالرحيل فارتحلوا ، وخرجت لبعض حاجتى وفى عنقى عقد لى فيه جَزْع ظفار، فلما فرغت انسل من عنقى ولا أدرى ، فلما رجعت إلى الرحل التمسته فى عنقى فلم أجده ، وقد أخذ الناس فى الرحيل . فرجعت الى مكانى فالتمسته فحبسنى ابتغاؤه ، وجاء القوم الذين يرحّلون بعيرى فأخذوا الهودج وهم يظنون أنى فيه ، فاحتملوه على عادتهم وانطلقوا ووجدت

عقدى بعد ما انشمروا ، ورجعت إلى المعسكر وما فيه من داع ولا مجيب ، فتلففت بجلبابى ، واضطجعت فى مكانى ، وعرفت أنهم يرجعون إلىّ إذا افتقدونى ، فوالله إنى لمضطجعة إذ مر بى صفوان ابن المعطل ، وقد كان تخلف عن المعسكر لحاجته ، فلم يبت مع الناس فلما رأى سوادى أقبل حتى وقف فعرفنى ، وكان رآنى قبل أن يضرب الحجاب ، فاسترجع ، قالت ووالله ماتكلمنا بكلمة ولا سمعت منه غير استرجاعه ، ثم قرب البعير وقال اركبى ، فركبت وأخذ برأسه فانطلق سريعا يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتُقدت حتى أصبحت ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودنى ، فقال أهل الافك ماقالوا ، فارتج العسكر ، والله ما أعلم بشىء من ذلك ، ثم قدمنا المدينة ، فلم ألبث ان اشتكيت شكوى شديدة ، ولا يبلغنى من ذلك شىء

وانتهى الحديث الى النبى وابويها ، فكتموا عليها الأمر حتى أبلت ، وفطنت الى شىء من جفاء رسول الله ، فطلبت اليه أن تمرّض فى بيت أمها ، فأجابها إلى ماطلبت ، فلما شفيت خرجت فى بعض الليالى لتقضى حاجة ومعها امرأة ، فأخبرتها بحديث الناس فى شأنها ، فرجعت تبكى وتعتب على أمها ، فتلطفت معها ، وكان الذى يتولى كِبرَ هذا الأمر عبد الله بن أبى فى رجال من الخزرج ، وقام رسول الله فخطب فى الناس وقال : ما بال رجال يؤذونى فى أهلى ، ويقولون عليهم غير الحق ، والله ماعلمت منهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ماعلمت منه إلا خيراً ، ومايدخل بيتا من بيوتى إلا وهو معى . فقال أُسَيْد بن

حضير يارسول الله ، إن يكونوا من الاوس نكفيكهم ، وان يكونوا من اخواننا الخزرج فمر بأمرك ، فو الله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم ، فحمل بينه وبين سعد بن عبادة مشادة حتى كاد يكون بين الحيين شر

واستشار رسول الله عليا وأسامة فأثنى أسامة خيراً ، وأما على فقال : إن النساء لكثير ، وانك لقادر على أن تستخلف .

ثم دخل النبي بيت أبي بكر وطلب اليها أن تتوب إن كانت قارفت سوءا مما يقول الناس ، وكانت تبكى فقلص دمعها ، وانتظرت من أبويها أن يجيبا النبي فلم يتكلما ، فقالت وأيم الله لانا كنت أحقر فى نفسى وأصغر من أن يُنزل الله فىّ قرآنا يقرأ به فى المساجد ويصلى به . ولكنني كنت انتظر أن يرى رسول الله فى قومه شيئا يكذب به الله عنى ، لما يرى من براءتى ، أو يخبر خبرا ، فأما قرآن ينزل فىّ ، فو الله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك ، وطلبتُ الى أبويها أن يجيبا فلم يفعلا ، فاستعبرت وبكت ، وقالت والله لا أتوب إلى الله مما ذكرتَ أبداً ، ثم قالت فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ، فما برح رسول الله مجلسه حتى جاءه الوحى فلم تفزع ولم تبال ، أما أبواها فكادت تخرج أنفسهما فَرَقاً من أن يأتى من الله تحقيق ماقال الناس ، ثم سُرِّى عن عن رسول الله فجلس وقال أبشري ياعائشة ، فقد أنزل الله براءتك ، ثم خرج على الناس فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن فى ذلك وأمر بمن كانوا قد أفصحوا بالفاحشة فضُربوا حدّهم رجالا ونساء ، وكان أبو بكر ينفق على أحدهم لقرابته ، فحلف لاينفعه بنفع أبداً ، غير أنه رجع عما عزم عليه حين نزل فى آيات البراءة قوله تعالى « ولا يأتل

أولو الفضل منكم والسعة الآية ... »

ويقال إن حسان بن ثابت كان من الذين أنفذ فيهم هذا العقاب ، أما ابن المعطل فقد تبين أنه كان رجلا حصوراً ما يأتي النساء .

غزوة الخندق وهي الأحزاب

أما تسميتها بالخندق فواضح ؛ وأما تسميتها بالاحزاب فلاجتماع طوائفَ من المشركين على حرب المسلمين وهم : قريش وغطفان واليهود ومن تبعهم كبني سليم وبني أسد .

إن حفر الخندق لم يكن من عادة العرب ، ولكنه من مكايد الفرس وحروبها ، ولذلك أشار به سلمان الفارسي لما رأى النبي بهم بالمقام بالمدينة، ويريد أن يتركهم حتى يردوا ، ثم يحاربهم على المدينة وفي طرقها فأمر رسول الله بحفره ، فحفر حول المدينة في شاميها، من أحمر الشيخين طرف بني حارثة حتى بلغ المداجج .

(١) كان من حديث غزوة الخندق : أن نفراً من اليهود (منهم سلام بن أبي الحقيق ، وحُيَي بن أخطب ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضريون ، ونفر من بني وائل ، وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله) خرجوا من خيبر حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله .

والاصل في ذلك أن أشراف بني النضير الذين نزلوا في خيبر ، بعد اجلائهم عن المدينة ، أخذوا يفكرون في أمرهم ، ويتلمسون الطرق التي توصلهم الى أخذ الثأر من الانصار ، والى مزارعهم وصياصيهم في

obeikandl.com

جهات يثرب التى سكنوها من قرون مضت ، وكان لهم فيها السلطان والثروة والدولة ، ثم أصبحوا فى خيبر فى حالة يرثى لها وتستوجب النظر .

فلما عرضوا على قريش ذلك الأمر قالوا لهم : إنكم أهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق ؛ فانظر كيف تورط اليهود فى الامر ، وفضلوا الوثنية على الدين الالهى ، والاشراك على التوحيد ؛ فضلا عن التجائهم الى عبدة الاصنام؟ وجعلوا هذا الامر المنهى عنه فى كتبهم ضرورة حربية وخدعة ، مما يدلك على أنهم كانوا يريدون التضحية بكل عزيز عليهم — حتى بدينهم — فى سبيل العودة الى المدينة والانتقام من الانصار ، وقد ندد القران الكريم بصنيعهم هذا إذ يقول : « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين امنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا » .

فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ، ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب النبى . فاجتمعوا لذلك واتعدوا له ، ثم خرج النفر من اليهود حتى جاءوا غطفان ، فدعوهم إلى حرب النبى ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك ، وجعلوا لهم ثمر خيبر سنة ، فاجتمعوا معهم فيه .

(٢) خرجت قريش وقائدها أبو سفيان ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن الفزاري الذى قال فيه النبى ﷺ : الاحمق المطاع —

لأنه كان يتبعه عشرة الاف قناة — فى فزازه قبيلاته ؛ وكانو االقاء والحرث ابن عوف فى بني مرة وكانوا (٤٠٠) ومسعود بن رُخيله فيمن تابعه من قومه من أشجج وكانوا أربعمائة أيضا ، وكانوا قد كتبوا الى حلفائهم من بنى أسد ، فأقبل اليهم طليحة بن خويلد فيمن أطاعه .

أما غرض قريش من الحرب ، فمواصلة القتال ليأخذوا بثأر قتلى بدر وأحد ، ولذلك دخلوا بين أستار الكعبة وأقسموا ليواصلُن القتال حتى لا يبقى فيهم رمق من الحياة .

وأما غرض غطفان منها فلأن اليهود وعدوهم — إذا تم لهم النصر — أن يكون لهم ماتخرجه مزارع خيبر وبساتينها سنة كاملة كما مر

وسمع رسول الله بهم وماأجمعوا له من الأمر جاءه ركب خزاعة فى أربع ليال حتى أخبروه فندب الناس وأخبرهم خبر عدوهم وشاورهم فى أمرهم ، أيبرز من المدينة أم يكون فيها ويحاربهم ، فأشار سلمان بالخندق فأعجبهم ، وخرج فضرب به على المسلمين جعل على كل عشرة أربعين ذراعا ، روى : أنه كان أحد جوانب المدينة عورة ، وسائر جوانبها مشتبكة بالبنيان والنخيل لايتمكن العدو منه ، فاختار ذلك الجانب للخندق ، فصارت المدينة كالحصن ، وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين فى الآجر ، فعملوا معه ودأب ودأبوا ، وكان سلمان يعمل عمل عشرة ، وأبطأ رجال من المنافقين فكانوا يُوَرُّون بالضعف عن العمل ، ومقصودهم خذلان المسلمين ، ويتسللون إلى أهاليهم بغير علم من الرسول ولا إذن ، أما المسلمون فكانوا عند الحاجة يستأذنون

ولما فرغ رسول الله من الخندق بعد ستة أيام أو أكثر ، أقبلت

قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة فى عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة ـ وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلت بذنب نَقَمَى الى جانب أُحد ـ وخرج النبى والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره ، والخندق بينه وبين القوم ، وأمر بالذرارى والنساء فجعلوا فى الآطام

٣ — وكان رسول الله قد وادع بنى قريظة ، وهم أصحاب حصون بالمدينة ، فاحتال حيي بن أخطب النضرى حتى أتى كعب بن أسد القرظى صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم فى حصنه ، فأغلق كعب بابه دون حيي ، فناداه ويحك ! افتح لى ، فقال إنك امرؤ مشئوم ، وانى قد عاهدت محمداً ، فلست بناقض مابينى وبينه ، فانى لم أر منه الا وفاء وصدقا ، قال ويحك ! افتح لى أكلمك ، فأبى فما زال به حتى فتح له ، فقال ياكعب ، جئتك بعز الدهر ، جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى الى جانب أحد ، قد عاهدونى وعاقدونى على الا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه . قال كعب : جئتنى بذل الدهر وبجهام قد هراق ماءه ، يبرق ويرعد وليس فيه شىء ، ويحك ! فدعنى ياحيي وما أنا عليه ، فانى لم أر من محمد الا صدقا ووفاء ، وتأبى ، فلم يزل يفتله فى الذروة والغارب حتى نقض كعب عهده ، وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ ، فأعطاه حيي عهدا من الله وميثاقا ، لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك فى حصنك ، يصيبنى ماأصابك

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله وإلى المسلمين بعث سيد الأوس سعد بن معاذ، وسيد الخزرج سعد بن عبادة، ومعهما نفر، فقال: انطلقوا حتى تنظروا، أحق مابلغنا عن هؤلاء القوم؟ فإن كان حقاً فالحنوا لى لحناً أعرفه، ولا تَفُتّوا فى أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس، فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث مابلغهم عنهم، نالوا من النبي وقالوا: من رسول الله؟ لاعهد بيننا وبين محمد ولاعقد، فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه. فنهاه سعد بن عبادة وقال: مابيننا وبينهم أربى من المشاتمة، وأقبلا ومن معهما إلى النبي فسلموا عليه وقالوا عَضَل والقارَةُ، أى كغدر عضل والقارة فى غزوة الرجيع، وهذا هو اللحن الذى أراده النبي منهم، فكبر وقال: أبشروا يامعشر المسلمين.

٤ — وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف، وأتاهم العدو من فوقهم وهم غطفان ومن أسفل منهم من قبل المغرب وهم قريش، حتى ظن المسلمون كل ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال بعضهم كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لايأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط، وقال آخر يارسول الله إن بيوتنا عورة، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا فإنها خارج المدينة.

وقال رجال ممن معه: (يأهل يثرب لامقام لكم فارجعوا) واقبل نوفل بن عبدالله المخزومى يريد قتل رسول الله على فرس له ليوثبه الخندق فوقع فيه فاندقت عنقه فقتله الله، وكبر ذلك على المشركين فراسلوا رسول الله فى تسليم جثته على مال، فقال لا نمنعكم أن تدفنوه ولاأرب لنا فى دِيَته.

فلما اشتد على الناس البلاء بعث النبي إلى قائدي غطفان فأعطاهما ثلث ثمر المدينة ، على أن يرجعا بمن معهما عنه ، فرضوا وفضلوا ما وعدهم به الرسولُ على ما اتفقوا مع اليهود عليه ، لأن الاول ليس معه حرب ، ولا يسفكون من أجله دماء . وجرى بين الرسول وبين غطفان الصلح حتى كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة ولا العزيمة ، إلا المراوضة في ذلك

فلما أراد النبي أن يفعل ، بعث إلى سعد وسعد فاستشارهما فقالا يارسول الله : أمراً تحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمر الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ قال بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأني قد رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما . فقال سعد بن معاذ قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله ، وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة الا قِرًى أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالاسلام ، وهدانا له ، وأعزنا بك وبه ، نعطيهم أموالنا ؟ والله ما لنا بهذا من حاجة ، ولا نعطيهم الا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، قال النبي : فأنت وذاك . فيقال أن سعداً تناول الصحيفة ومحا ما فيها من الكتاب

٥ ـ فأقام رسول الله والمسلمون وعدوهم محاصرهم ولم يكن بينهم قتال ، إلا مراماة بالنبل ، لكن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود وخالد بن الوليد ، وعكرمة بن أبي جهل . خرجوا على خيلهم حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه قالوا والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ـ ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق فضربوا خيولهم

فاقتحمت منه فجالت بهم فى السبخة بين الخندق وسلع .

وخرج على بن أبى طالب فى نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التى أقتحموا منها خيلهم ، وأقبل عمرو هو وخيلة وقال : هل من مبارز ؟ ثلاث مرات ، وفى كل مرة يقول علىّ أنا له يانبى الله ، فيقول اجلس فانه عمرو ، وقال على فى الثالثة : وان كان عمراً ، فأعطاه الرسول سيفه وعممه ، وقال اللهم أعنه عليه ، فبرز له على ، فدعاه إلى الله ورسوله أو الرجوع عن الحرب ، فقال لا حاجة لى بذلك ، فدعاه إلى النزال ، فقال له : لم يا بن أخى ؟ فوالله ما أحب أن أقتلك ، قال على ولكنى والله أحب أن أقتلك ، فحمى عند ذلك عمرو ، فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ، ثم أقبل على علىّ ، فتنازلا وتجاولا فقتله على ، ورجعت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة — وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ، وأقبل علىّ نحو النبى وهو متهلهل وتعفف عن أخذ سلب عمرو ، وقال أنه حين ضربته استقبلنى بسوأته فاستحييت

ورُمى سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الاكحل (عرق فى وسط الذراع) ، وكان الذى رماه أحد بنى عامر بن لؤى ، وكان سعد يقول اللهم لا تمتنى حتى تقر عينى عن بنى قريظة .

٦ — وبينا الرسول وقومه فى تلك الشدة ، إذ أقبل نعيم بن مسعود الغطفانى الاشجعى وهو مخف اسلامه ، فتبط قوما عن قوم ، وأوقع بينهم شرا ، فاختلفت كلمتهم ، وذلك أنه جاء فقال : يارسول الله إنى قد أسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى ، فمرنى بما شئت ، فقال له . إنما

أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا ان استطعت ، وعليك بالخداع ، فان الحرب خدعة ، فخرج حتى أتى قريظة ـ وكان لهم نديما في الجاهلية ـ فقال يابني قريظة ، قد عرفتم ودي إياكم وخاصة مابيني وبينكم ، قالوا لست عندنا بمتهم ، فقال لهم : إن قريشا وغطفان ومن التف معهم جاءوا لحرب محمد ، فان ظاهرتموهم عليه فليسوا كهيئتكم ، وذلك أن البلد بلدكم به أموالكم وأولادكم ونساؤكم ، لا تقدرون أن تتحولوا منه إلى غيره ، فاما قريش وغطفان ، فان أموالهم وأبناءهم ونساءهم ببلاد غير بلادكم ، فان رأوا نهزة وغنيمة ، أصابوها ، وإن كان غير ذلك ، لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ، والرجل ببلادكم لا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم ، حتى تأخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون بأيديكم ، ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى يناجزوه ، قالوا لقد أشرت علينا برأى ونصح .

ثم خرج حتى أتى قريشا ، فقال لأبى سفيان ومن معه : قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمداً ، وأنه قد بلغني أمر رأيت علىّ حقا أن أبلغكموه نصحا لكم ، فاكتموا على ، قالوا نفعل ، قال : تعلّموا أن معشر يهود قد ندموا على ماصنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا اليه : أنا قد ندمنا على مافعلنا ، فهل يرضيك عنا أن نأخذ لك من القبيلين رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل اليهم أن نعم ، فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم ، فلا تدفعوا اليهم رجلا واحداً ، فوقع ذلك من القوم .

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال . إنكم أصلى وعشيرتى وأحب الناس إلىّ ولا أراكم تتهمونى ، قالوا : ما أنت عندنا بمتهم ، قال فاكتموا علىّ قالوا نفعل ، فما أمرك ؟ فقال لهم مثل ماقال لقريش وحذرهم ماحذرهم ، فكان من الاتفاق الجيد

ثم أنه لما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، أرسل أبو سفيان ورءوس غطفان ، إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان ، فقالوا : انا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخف والحافر ، فأعدوا للقتال حتى نناجز محمدا ، ونفرغ مما بيننا وبينه ، فأرسلوا اليهم : إن اليوم السبت ، وهو يوم لانعمل فيه شيئا ، وكان قد أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابه مالم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رُهنا من رجالكم يكونون بايدينا ، ثقة لنا حتى نناجز محمدا ، فانا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ، أن تنشمروا إلى بلادكم ، وتتركونا والرجل فى بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه — فلما رجعت الرسل بما قالت قريظة ، قالت قريش وغطفان والله ان الذى حدثكم به نعيم لحق ، وأرسلوا إلى بنى قريظة ، انا والله لاندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا ، فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا . فقالت قريظة إن الذى ذكر لكم نعيم لحق ، مايريد القوم إلا أن تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم ، وخلوا بينكم وبين الرجل ، فأرسلوا إلى قريش وغطفان إنا لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا ، فأبوا عليهم .

٧ — وتخاذل القوم وأتهم بعضهم بعضا ، وبعث الله عليهم الريح

فى ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم ، وتطرح آنيتهم ، وجنود الله تفعل بهم ماتفعل ، لاتقر لهم قِدراً ولانارا ولابناء حتى ضاق ذرع القوم ، وبلغ رسول الله اختلافهم وماهم فيه من الجهد، فبعث حذيفة بن اليمان لينظر مافعل القوم ليلا ، فذهب حتى دخل فى القوم فرأى من الرياح أمرا هائلا ، وقام أبو سفيان فقال . يامعشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام. وقد هلك الخف والحافر ، وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ماترون ، فارتحلوا فانى مرتحل ، ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فما أطلق عقال يده إلا وهو قائم ، قال حذيفة : ولولا عهد رسول الله إلى أن لاتحدث شيئا حتى تأتيني ثم شئت لقتلته بسهم ، ثم ارتحلوا هربا وتركوا ما أستثقلوه من متاعهم، فغنمه المسلمون مع عشرين بعيرا أرسلها أبو سفيان لحي ، فحملها له شعيرا وتمرا وتبنا ، فلقيها جماعة من المسلمين فأخذوها وأنصرفوا بها الى رسول الله فتوسعوا بها ، فلما سمع أبو سفيان قال: ان حُيَيّا لمشئوم ، قطع بنا ، مانجد مانحمل عليه إذا رجعنا

وسمعت غطفان بما فعلته قريش فانشمروا راجعين الى بلادهم، وتفرق ذلك الجمع من غير حرب ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وخلصهم من خطر كان يهدم مابنوا بين عشية أو ضحاها ، ويعيد أمر المدينة إلى اليهود .

ثم انصرف رسول الله عن الخندق بعد أن أقام خمسة عشر يوما أو أكثر . وقال : الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير اليهم. وأستشهد من المسلمين ستة ، وقتل من المشركين ثلاثة .

أمر بنى قريظة

ولما دخل النبي ﷺ المدينة هو والمسلمون ووضعوا السلاح وكانت الظهر ، أذن مؤذنه : من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا ببنى قريظة — أراد رسول الله أن يفاجئهم ويحاصرهم جزاء ما كان منهم من الانضمام الى الاحزاب ونقضهم العهود والعقود من غير مبرر — وقدّم على بن أبى طالب برايته الى بنى قريظة وابتدرها الناس فساروا ، ولما دنا على من الحصون سمع مقالة قبيحة منها لرسول الله ، فرجع الى النبي ، فقال له لا عليك ، ولو رأونى لم يقولوا شيئا ، فلما دنا النبي من حصونهم قال يا إخوان القردة ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ قالوا يا أبا القاسم ماكنت جهولا . ونزل على بئر من آبارهم وتلاحق به الناس فكانوا ثلاثة الاف فحاصرهم النبي خمسا وعشرين ليلة ، حتى أجهدهم الحصار ، وقذف الله فى قلوبهم الرعب . وكان حُيي قد دخل مع قريظة فى حصنهم وفاء لكعب بن أسد القرظى .

فلما رأوا أن رسول الله غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ، قال كعب لقومه : يامعشر يهود ، قد نزل بكم من الامر ماترون ، وإنى عارض عليكم خلالا ثلاثا ، فخذوا أيها شئتم . قالوا ماهى ؟ قال . نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين أنه نبي مرسل ، وأنه الذى تجدونه فى كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ، فابوا حيث قالوا لا نفارق حكم التوراة أبداً ، ولا نستبدل به غيره . قال : إن أبيتم فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلاً ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فان نهلك نهلك ولم نترك

وراءنا مانخشى عليه ، قالوا نقتل هؤلاء المساكين ؟ فما خير العيش بعدهم ؟ قال فان أبيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت ، وانه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة . قالوا نفسد علينا سبتنا ونحدث فيه مالم يحدث فيه من كان قبلنا الامن قد علمت فأصابه مالم يخف عليك من المسخ ، قال مابات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما .

وكانوا لما ايقنوا بالهلكة أنزلوا رجلا فكلم رسول الله أن ينزلوا على مانزل بنو النضير ، فأبى ، فقال الرجل : تحقن دماءنا وتسلم لنا النساء والذرية ولاحاجة لنا فيما حملت الابل ، فأبى إلا أن ينزلوا على حكمه

ثم ماهو إلا أن بعثوا إلى رسول الله أن ابعث الينا أبا لبابة الانصارى لنستشيره فى أمرنا ، فأرسله اليهم ، فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش اليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه فرق لهم . وقالوا له : أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال نعم ، وأشار بيده إلى حلقه انه الذبح ، ثم فطن إلى أنه خان الله ورسوله بهذه الاشارة ، فانطلق ولم يعرج على رسول الله حتى ارتبط فى المسجد الى عمود من عمده ، فلما علم رسول الله خبره ـ وكان قد استبطأه ـ قال أما لو جاءنى لاستغفرت له ، فأما إذ فعل مافعل ، فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ، فأقام مرتبطا ثلاث ليال ثم نزلت على رسول الله توبته فى الليل ، فثار الناس ليطلقوه فأبى إلا أن يطلقه ﷺ بيده ، فلما مر عليه خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه

ونزل القرظيون على حكم النبى فتواثبت الأوس وقالوا يارسول الله انهم كانوا موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت فى موالى الخزرج

بالامس ماقد علمت ـ فقال النبي ألا ترضون يامعشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا بلى . قال فذاك الى سعد بن معاذ ، فأتاه قومه (وكان رسول الله قد جعله فى خيمة فى المسجد لامرأة من أسلم، كانت تداوى الجرحى) فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من أدم وأقبلوا به على النبي وهم يقولون ياأبا عمرو ، أحسن فى مواليك ، فان رسول الله انما ولاك ذلك لتحسن فيهم ، فلما أكثروا عليه قال : لقد آن لسعد ألاّ تأخذه فى الله لومة لائم ، فلما انتهى إلى النبي والمسلمين قال النبي : قوموا إلى سيدكم ، فقاموا اليه ، فقالوا يا أبا عمرو ، ان النبي قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم ، قال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم لما حكمت ؟ قالوا نعم : وقال وعلى من هنا ؟ — فى الناحية التى فيها النبي وهو معرض عنه إجلالاً له — ، فقال النبي نعم

الحكم : قال سعد فانى أحكم فيهم أن تُقتل الرجال ، وتُقسم الاموال وتُسبى الذرارى والنساء ، فقال النبي لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة أو سبع سموات، والمعنى واحد ، والأرقعة جمع رقيع بتذكير العدد على معنى السقف .

ثم استُنزلوا فحبسهم النبي بالمدينة فى دار رملة بنت الحرث النجارية ، وخرج إلى السوق فخندق بها خنادق ، ثم بعث اليهم فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق ، وكان يخرج بهم اليه ارسالا ، وفيهم حيي وكعب وهم ستمائة أو سبعمائة إلى تسعمائة ـ ولما نظر عدو الله حيي إلى رسول الله قال والله ما لمت نفسى فى عداوتك ، ولكنه مَن يخذل الله يخذل ـ ولم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة ، وهى التى طرحت الرحا على خلاد بن سويد

فقتلته أثناء الحصار ، وقتل كل من أنبت منهم - ثم قسم أموالهم ونساءهم وأبناءهم على المسلمين ، وأعلم فى ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال ، وأخرج منها الخمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم : للفرس سهمان ولفارسه سهم ، وللراجل (من ليس له فرس) سهم ، وكان أول فىء وقعت فيه السهمان وأخرج منه الخمس .

وبعث رسول الله أحد بنى الأشهل بسبى من سبايا قريظة إلى نجد فابتاع لهم به خيلا وسلاحا ، واصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت شمعون أو بنت زيد بن عمرو ، عرض عليها أن يتزوجها ، فقالت : بل تتركنى فى ملكك فهو أخف عليك ، فتركها ثم أسلمت بعد قليل وظلت معه إلى أن ماتت راجعة من حجة الوداع سنة ست عشر ، ودفنها بالبقيع ، هذا - وقد أنزل الله فى الخندق وبنى قريظة من القرآن قوله تعالى فى سورة الاحزاب « يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم - إلى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزاً ، والآيتين بعد ذلك إلى وكان الله على كل شىء قديرا »

والملحوظ فى أمر قريظة أنهم فى أثناء الحصار لم يناوشوا ، فقيل ان ذلك لأنهم لم يكونوا أهل حرب ، بل كانوا رجال حرث وزرع وأنهم كانوا أقل طوائف اليهود الأخرى بأساً وشجاعة . ولكن كيف وهم لم يسلموا إلا بعد حصار خمس وعشرين ليلة ، وبعد أن رأوا أنهم هالكون لا محالة على أى حال ، ولم يكونوا ينتظرون من حلفائهم الأوس هذا الغدر ،

وقد قضت هذه الغزوة على بطون اليهود فى المدينة قضاء مبرما

وهو جل ما كان يبغيه الأوس والخزرج منذ أزمان، وبقتلهم اضمحلت الحالة الاقتصادية والصناعية فى المدينة وما حولها ؛ لأنهم كانوا أصحاب الأيدى العاملة فيها ؛

وهنالك نتائج لهذه الغزوة لا تخفى، ومنها أن غنائم اليهود أثرى بها المسلمون وبيتُ مالهم ، فأصبحوا بحيث يستطيعون الانفاق من سعة على ما يريدون الشروع فيه من الغزو فى بلاد الحجاز وما يليها ، وبلاد الشام

ومنها أن المنافقين من أهل المدينة اضطروا إلى الاخلاص طوعا أو كرها ، ولهذا الأمر نتائجه التى تترتب على توحيد الوجهة .

ومنها أن قريشاً رأت أن قوافلها التى تقصد الشام أصبحت فى خطر محقق من غارات المسلمين عليها ، وأن النبى قد تفرغ إلى الانتقام منهم ، فأخذوا يفكرون فى هذا الأمر العظيم ، أمر قوتهم ، لعلهم يوفقون إلى حَل ، فكان ذلك تمهيدا إلى عقد هدنة الحديبية كما سيجىء.

موت سعد — ولما انقضى أمر قريظة ، انفجر جرح سعد بن معاذ فمات واستجاب الله دعاءه ، فحضر رسول الله وأبو بكر وعمر دفنه ، وسمعت السيدة عائشة بكاء الآخرين عليه .

سرية محمد بن مسلمة الى القُرْطاء — والقرطاء بطون من بنى كلاب من قيس عيلان ينزلون بناحية ضرية ، بالبَكْرات (وهى جبال هنالك).

بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة لعشر من المحرم سنة ست ، فى ثلاثين راكبا ، فلما أغار عليهم قتل منهم نفرا وهرب سائرهم ، واستاق نعما (١٠٠ بعير) وشاء (٣٠٠) وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم ومعه

ثمامة بن أثال الحنفى أسيرا (صار من فضلاء الصحابة ، ولم يرتد مع من ارتد من أهل اليمامة . ولا خرج عن الطاعة قط) فربطوه فى سارية المسجد فخرج اليه ﷺ فقال ماذا عندك يا ثمامة ؟ قال عندى خير ، يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم : وان تنعم تنعم على شاكر ، وان كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت ، فتركه حتى كان الغد فقال ماعندك يا ثمامة ؟ قال عندى ماقلت لك ، ان تنعم تنعم على شاكر ، فتركه حتى كان بعد الغد فقال ماعندك يا ثمامة ؟ قال عندى ماقلت لك ، فقال أطلقوا ثمامة ، فانطلق فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا اله إلا الله وان محمدا رسول الله ، يا محمد والله ماكان على وجه الارض ابغض الى من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلى ، وهكذا قال عن دين رسول الله وبلده ، ثم قال وان خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى ؟ فبشره النبى وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له قائل صبوت ، قال لا ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ ، ولا والله لا تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبى ، ثم خرج الى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا ، فكتبوا إلى النبى : أنك تأمر بصلة الرحم ، وانك قد قطعت أرحامنا ، فكتب ﷺ إلى ثمامة أن يخلى بينهم وبين الحمل ، فانظر إلى هذا الحلم العظيم والرحمة الشاملة على من لا يستحقون الحلم ولا الرحمة . ويروى أن أبا سفيان هو الذى كان رسول قريش إلى النبى فى هذا الشأن

غزوة بنى لحيان — وجد رسول الله ﷺ على عاصم بن ثابت

وأصحابه وجدا شديدا ، فأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة ، وعسكر فى مائتى رجل ومعهم عشرون فرسا ، ثم أسرع السير حتى

انتهى الى بطن غُران ، بين أُمج وعسفان حيث كان مصاب أصحابه أهل الرجيع ، فسمعت بنو لحيان فهربوا فى رءوس الجبال فلم يقدر منهم على أحد ، فبعث السرايا فى كل ناحية حتى أتى عسفان ، فبعث أبا بكر فى عشرة فوارس لتسمع بهم قريش فيذعرهم . فأتوا كُراع الغَميم ولم يلقوا كيداً ، وانصرف النبي الى المدينة ولم يلق كيداً وهو يقول : آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون .

سرية زيد الى العيص :—

العيص موضع على أربع ليال من المدينة — بلغ رسول الله ﷺ أن عيراً لقريش أقبلت من الشام فأرسل زيد بن حارثة يتعرض لها ، فأخذها ومافيها واسر ناسا ، منهم أبو العاصى بن الربيع ، وقد قدم بهم المدينة ، فأجارت أبا العاصى زوجُه زينب بنت رسول الله ، لأنه استجار بها ، ونادت فى الناس حين صلى النبي الفجر : انى قد أجرت أبا العاصى ، فقال رسول الله : المؤمنون يد واحدة يجير عليهم أدناهم ، وقد أجرنا من اجارت — فرُد عليه ماأخذ منه ، وقال النبي لابنته أكرمى مثواه ولا يخلص إليك فانك لاتحلين له ، ولما رد عليه المال ذهب الى مكة ، فأدى إلى كل ذى مال ماله ، ثم قال : هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا لا ، قال هل أوفيت ذمتى ؟ قالوا اللهم نعم ، فجزاك الله خيرا ، فتشهد شهادة الاسلام وقال : والله مامنعنى من الاسلام عنده إلا تخوفا أن تظنوا أنى انما أردت أن آكل أموالكم ، فلما ردها الله اليكم وفرغت منها أسلمت ، ثم خرج فقدم المدينة .

وكان لما من عليه النبي فى مرة سبقت ، شرط عليه أن يخلى سبيل

زينب إليه ، فلما ذهب الى مكة إذ ذاك بعث المصطفى زيد بن حارثة ورجلا من الانصار ليأتيا بها ، فأمرها أبو العاص باللحوق بأبيها ، فتجهزت وهاجرت وتركته على شركه ، فلما هاجر هو الى النبي مسلما فى هذه المرة ردها عليه بالنكاح الاول بعد سنتين من اسلامه أو أكثر ، وقيل ردها بمهر جديد وهو الاصح لأن الاسلام كان قد فرق بينهما (لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن)

مقتل أبي رافع

وهو أبو رافع سلاّم بن أبي الحقيق ، وكان فيمن حزب الأحزاب على النبي ، وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف فى عداوته للنبي وتحريضه عليه ، وكان مما صنع الله لرسوله : ان هذين الحيين من الانصار ، كانا يتصاولان تصاول الفحلين ، لاتصنع الأوس شيئا فيه عن النبي غَنَاء ، إلا قالت الخزرج : والله لايذهبون بهذه فضلا علينا عند النبي فى الاسلام ـ فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ، وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الاوس مثل ذلك

ولما أصابت الأوس كعب بن الاشرف قالت الخزرج : والله لايذهبون بها فضلا علينا أبداً ، فتذكروا رجلا فى عدائه للنبي كابن الاشرف ، فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخيبر ، فاستأذنوا النبي فى قتله فأذن لهم ، فخرج اليه خمسة نفر من الخزرج فيهم عبد الله بن عَتِيك ، وقد أمره النبي عليهم ، وعبد الله بن أُنَيس ، ونهاهم الرسول أن يقتلوا وليدا أو امرأة ، فخرجوا حتى إذا قدموا نواحي خيبر . أتوا دارا بن أبي الحقيق .

وفى كيفية قتله روايات أصحها رواية البخارى وهى :

بعث رسول الله ﷺ الى أبى رافع اليهودى رجالا من الانصار وأمّر عليهم عبد الله بن عتيك ، وكان أبو رافع يؤذى رسول الله ويعين عليه ، وكان فى حصن له ، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس ، وراح الناس بسرحهم ، قال عبد الله لاصحابه : اجلسوا مكانكم فانى منطلق ومتلطف للبواب ، فأقبل حتى دنا من الباب ، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضى حاجته وقد دخل الناس ، فهتف به البواب ياعبد الله (والناس كلهم عبيد الله) ان كنت تريد أن تدخل فادخل ، فانى أريد أن أغلق الباب ، قال : فدخلت فكمنت ، فلما دخل الناس أغلق الباب ، ثم علق الاغاليق على وتد ، فقمت إلى الأقاليد فأخذتها ، ففتحت الباب وكان أبو رافع يُسمَر عنده ، وكان فى عَلالِىّ له ، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه ، فجعلت كلما دخلت بابا ، أغلقته علىّ من داخل ، قلت ان القوم ان ندروا بى لم يخلُصوا إلىّ حتى أقتله ، فانتهيت اليه فاذا هو فى بيت مظلم قد طفئ سراجه وسط عياله لاأدرى أين هو من البيت ، قلت : أبا رافع ، قال من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش فما أغنت شيئا ، وصاح فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد ، ثم دخلت عليه فقلت ماهذا الصوت يا أبا رافع ؟ قال : لأمك الويل ، إن رجلا فى البيت ضربنى قبل بالسيف ، قال فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله ثم وضعت ضبيب السيف (حده) حتى أخذ فى ظهره ، ففعلت أنى قد قتلته ، فجعلت افتح الأبواب بابا بابا حتى انتهيت الى درجة له فوضعت رجلى وأنا أرى أنى قد انتهيت الى الارض ، فوقعت

فى ليلة مقمرة فانكسرت ساقى، فعصبتها بعمامة ، ثم انطلقت حتى جلست على الباب ، فلما صاح الديك قام الناعى على السور فقال : انعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز ، فانطلقت إلى أصحابى فقلت النجاء فقد قتل الله أبا رافع ، فانتهيت إلى النبى فحدثته فقال : ابسط رجلك ، فمسحها فكأنما لم اشتكها قط

إسلام ابن العاص وابن الوليد

حدث عمرو بن العاص قال : لما انصرفنا مع الاحزاب عن الخندق، جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيى ويسمعون منى ، فقلت لهم : تعلمون والله أن رأى محمد يعلو الامور علواً منكراً ، وإنى لقد رأيت أمراً فما ترون فيه ؟ قالوا وماذا ؟ قال رأيت ان نلحق بالنجاشى فنكون عنده ، فان ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشى ، فانا أن نكون تحت يديه ، أحب الينا أن نكون تحت يدى محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم الاخير ، فوافقوه وخرجوا بهداياهم اليه — وبيناهم عنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمرى بعثه النبى فى شأن جعفر وأصحابه، فدخل عليه ثم خرج ، ثم دخل عليه عمرو يستأذنه فى قتل رسول محمد وتقدم اليه بالهدايا ، وسأله مايريد من قتل الضمرى، فغضب النجاشى غضبا شديدا ، وقال تسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى لتقتله؟ قال عمرو : أكذاك هو ؟ قال ويحك ياعمرو ! أطعنى واتبعه ، قال أفتبايعنى له على الاسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده فبايعته ، ثم خرجت الى أصحابى وقد حال رأيى عما

كان عليه، وكتمت أصحابي اسلامي، وخرجت عامدا إلى رسول الله لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد وهو مقبل من مكة، فقلت: الى أين ياأبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام الميسم (أى تبين الامر ووضح الدليل) وان الرجل لنبي، اذهب والله فأسلم، فحتى متى؟ قال والله ماجئت إلا لأسلم قال، فقدمنا المدينة على النبي فتقدم خالد فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت يارسول الله إنى أبايعك على أن تغفر لى ماتقدم من ذنبي، ولا أذكر ماتأخر، فقال رسول الله ياعمرو بايع، فالاسلام يجب ما كان قبله وإن الهجرة تجب ماكان قبلها، فبايعته وانصرفت - وكان معهما حين أسلما طلحة بن أبي طلحة، فاسلم معهما

سرية عبد الله بن أبي رواحة إلى أسير بن رزام اليهودي بخيبر

لما قتل أبو رافع، أمّرت عليها يهود أسيرا، فقام فيهم وقال: والله ماسار محمد إلى أحد من يهود، ولا بعث أحدا من أصحابه إلا أصاب منهم ماأراد، ولكنى اصنع مالم يصنع أصحابي: فقالوا وماعسيت أن تصنع؟ قال أسير فى غطفان فأجمعهم، ونسير إلى محمد فى عُقر داره، فانه لم يُغز أحد فى عقر داره، إلا أدرك منه عدوه بعض مايريد، قالوا: نعم مارأيت، فسار فى غطفان وغيرهم، يجمعهم لحرب النبي، وبلغه ﷺ ذلك فوجه عبد الله بن رَواحة فى ثلاثة نفر، فى شهر رمضان سنة ست سرا، فسأل عن خبره، وغرّته فأُخبر بذلك، فقدم على رسول الله فأخبره، وقدم عليه خارجة بن حُسَيل فاستخبره ماوراء فقال تركت أسيرا يسير اليك فى كتائب يهود، فندب النبي الناس، فانتدب له ثلاثون رجلا فبعث عليهم عبد الله بن رواحة، فقدموا على

أسير فقالوا : نحن آمنون حتى نعرض عليك ماجئنا له ؟ قال نعم ، ولى منكم مثل ذلك ؟ قالوا نعم ، فقالوا ان رسول الله بعثنا اليك لتخرج اليه يستعملك على خيبر ، ويحسن اليك ، فطمع فى ذلك ، وخرج وخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين ، حتى إذا كانوا على ستة أميال من خيبر ، ضربه عبد الله بن أُنيس — وكان فى السرية مُرْدِفا أسيرا — بالسيف فسقط عن بعيره ، ومالوا على أصحابه فقتلوهم ، غير رجل أعجزهم جريا ، ولم يُصب من المسلمين أحد ، ثم قدموا على رسول الله فحدثوه الحديث ، فقال قد نجاكم الله من القوم الظالمين

بعث الضَّمرى لقتل أبى سفيان

وسبب ذلك أن أبا سفيان قال لنفر من قريش ألا أحد يغتر محمداً فانه يمشى فى الاسواق ، فاتاه رجل من الاعراب فى منزله ، فقال قد وجدت أجمع الرجال قلبا وأشدهم بطشا وأسرعهم شدا ، فان أنت قويتنى خرجت اليه حتى أغتاله ، ومعى خنجر مثل خافيه النسر فأسوِّره ، ثم آخذ فى غير فاسير وأسبق القوم ، فانى هاد بالطريق ، قال أنت صاحبنا ، وأعطاه بعيرا ونفقة وقال : اطو أمرك ، فخرج ليلا فسار على راحلته خمسا ، فصبح ظهر الحرّة صبح سادسة ، ثم أصبح يسأل عن رسول الله ﷺ حتى دُل عليه ، فعقل راحلته ، ثم أقبل على الرسول وهو فى مسجد بنى عبد الاشهل ليغتاله ، فلما رآه النبى قال إن هذا لير يد غدرا ، وذهب لينحنى على النبى ، فجذبه أسيد بن حُضَير بداخل ازاره فاذا الخنجر ، فسقط فى يده ، فقال النبى اصدقنى ما أنت ؟ قال وانا آمن ؟ قال نعم ، فأخبره بخبره ، فخلى عنه النبى فاسلم ، وقال يامحمد والله ماكنت أفرق

الرجال (أى أخافهم) فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلى وضعفت، ثم اطلعتَ على ماهممتُ به مما لايعرفه أحد ، فعرفت أنك ممنوع ، وإنك على حق ، وإن حزب أبى سفيان حزب الشيطان ، فجعل النبى ﷺ يبتسم ، فخرج الرجل ولم يسمع له بذكر .

وبعث رسول الله عمرو بن أمية الضمرى ومعه سلمة بن أسلم أو غيره إلى أبى سفيان ، وقال أن اصبتما منه غِرّة فاقتلاه . فدخلا مكة ومضى عمرو يطوف بالبيت ليلا ، فرآه معاوية بن أبى سفيان فاخبر قريشا بمكانه فخافوه وطلبوه وكان فاتكا فى الجاهلية ، فحشد له أهل مكة وتجمعوا ، فهرب عمرو وصاحبه ، ولقى رجلا من تيم فقتله وقتل آخر من بنى الديل ، وآخرين من قريش ، بعثتهما يتجسسان الخبر ، فقتل أحدهما واسر الثانى فقدم به المدينة ، فجعل عمرو يخبر رسول الله خبره وهو يضحك ، ثم دعا له بخير

أمر الحديبية

وبيعة الرضوان وصلح قريش

الحديبية . بئر أو شجرة أو قرية على مرحلة أو تسعة أميال من مكة غربا — وأكثرها فى الحرم

خرج رسول الله فى آخر سنة ست متعمراً لايريد حربا، لانه رأى فى منامه أنه دخل البيت هو وأصحابه آمنين ، محلقين رءوسهم ومقصرين ، واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادى من الاعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش الذى صنعوا : أن يعرضوا له